بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع قدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
في الدنيا والاخرة واسرى به ليلا من المسجد الحرام الى
المسجد الاقصى فاعظم بذلك فخرا وقدمه جبريل فصلى
بالانبيا والمرسلين ليعلم انه الامام الاعظم وانه بذلك
المقام احرى ثم رقى الى السموات العلى الى سدرة المنتهى وظهر
لمستوى سمع فيه صريف الاقلام ورأى من ايات ربه الكبرى
وخلع عليه وخاطبه وثبت فؤاده واعطاه سؤله واعظم
له بذلك اجرا فسبحان من الذي نزه نفسه بنفسه
في مقام الانبا عن الاسرا واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له شهادة يتوالى علينا امدادها تترى
واشهد ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله
الذي بعثه رحمة للعالمين وكنزا لهم وذخرا صلى الله
وسلم عليه وعلى اله وصحبه وتابعيه خصوصا وارثيه
الذين اشدت لهم بين العالمين ذكرى وبعد فقد

صح الذين اشاد الله لهم في الخافقين ذكرا صح

قال الله تعالى في كتابه المبين وهو اصدق القائلين
بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله
لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير وسنتكلم
ان شا الله تعالى على بعض فوايد هذه الاية الكريمة وعلى
فوايد بعض ايات من اول سورة والنجم ثم نورد
قصة حديث الاسرا والمعراج ونتكلم على بعض فوايد ذلك
ان شا الله تعالى مستمدا من الله المعونة والهداية والكفاية

والرعاية

والرعاية فنقول سبب نزولها كما قاله الامام ابو حيان
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الاسرا كذبوه فانزلها
الله تعالى ووجه اتصال هذه السورة بما قبلها ومناسبتها
له انه تعالى لما امره صلى الله عليه وسلم بالصبر ونهاه
عن الحزن عليهم وان يضيق صدره من مكرهم وكان
من مكرهم نسبته الى الكذب والسحر والشعر وغير
ذلك مما رموه به اعقب تعالى ذلك بشرفه وفضله
واحتفائه وعلو منزلته عنده بذكر الاسرا في اول
هذه السورة وايضا لما امر بالصبر في اخر السورة المتقدمة
بقوله واصبر وما صبرك الا بالله والصبر هو التحمل للمكاره
والتحمل من جملة ما يودي الى التجمل ومنه ما ذكر في اول
هذه السورة وقد روى البخاري عن ابن مسعود انه قال
في سورة بني اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبيا هن
من العتاق الاول وهن من تلادي اي مما حفظته قديما
وهو ضد الطارف ومراده ان لهن فضلا باعتبار ما تقدم
وما تضمنه مفتتح كل منها من امر غريب وقع في العالم
خارق للعادة وهو الاسرا وقصة اصحاب الكهف
وقصة مريم وهذا وجه في ترتيبها وهو اشتراكها
في قدم النزول وكونها مكيات وكلها مشتملة على القصص
وروى الامام احمد عن عائشة رضي الله عنها كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر
والعتاق بكسر العين المهملة جمع عتيق والعرب تجعل
كل شي بلغ الغاية في الجودة عتيقا والاول بضم الهمزة

وفتح الواو المخففة والاولية باعتبار حفظها او باعتبار
نزولها لانها مكيات وقوله من تلادي بكسر التاء
الفوقية وتخفيف اللام وبعد الالف دال مهملة اي
والحكمة في افتتاح هذه السورة بالتسبيح كما قاله في زاد
المسير وجهان احدهما ان العرب تسبح عند الامر العجيب
فكان الله تعالى عجب خلقه بما اسدى الى رسوله صلى الله
عليه وسلم من الاسرا به والثاني ان يكون خرج مخرج
الرد عليهم لانه صلى الله عليه وسلم لما حدثهم عن الاسرا
كذبوه فيكون المعنى تنزه الله تعالى ان يتخذ رسولا
كذابا فان قلت ما الحكمة في افتتاح سورة الاسرا
بالتسبيح والكهف بالتحميد اجيب بان التسبيح حيث
جا قدم على التحميد نحو فسبح بحمد ربك سبحان الله والحمد لله
لان التسبيح هو التنزيه والحمد الثنا فالاول من باب
التخلية والثاني من باب التحلية والتخلية مقدمة على
التحلية واجيب ايضا بان سورة سبحان لما اشتملت
على الاسرا وكذب المشركون به النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبه
تكذيب لله تعالى اتى بسبحان لتنزيه الله عز وجل عما لا يليق
به وينسب اليه من الكذب وسورة الكهف لما نزلت
بعد سوال المشركين عن قصة اصحاب الكهف وتاخر الوحي
نزلت مبينة ان الله تعالى لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن
المومنين بل اتم عليهم النعمة بانزال الكتاب فناسب
افتتاحها بالحمد على هذه النعمة واما سبحان فهو اسم
بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه فهو اسم واقع موقع المصدر

ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد يستعمل علما فيقطع عن
الاضافة ويمتنع عن الصرف وانتصابه بفعل مضمر
اي اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد
مسده ودل على التنزيه البليغ لان في حذف العامل واقامته
مقامه الدلالة على ان المقصود بالذات هو المصدر والفعل
تابع فيفيد الاخبار بسرعة وجود التنزيه والتسبيح
ما استاثر الله تعالى بها كما قاله بعضهم واذا قلنا بانه علم
للتسبيح فالعلم على نوعين علم شخصي وعلم جنسي ثم انه يكون
تارة للعين وتارة للمعنى وهذا من العلم الجنسي الذي للمعنى
فان قلت لفظ سبحان واجب الاضافة فكيف الجمع بين
العلمية والاضافة واجيب بانه ينكر ثم يضاف كما قال
الشاعر علا زيدنا يوم النقا راس زيدكم
بابيض ماضي الشفرتين يماني * فبدا بالمصدر اي بالاسم
الموضوع موضعه في بني اسرائيل لان المصدر هو الاصل
ثم بالماضي في الحديد والحشر لانه اسبق الزمانين ثم
بالمضارع في الجمعة والتغابن ثم بالامر في الاعلى استيعابا
لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهو ذكر يعظم الله به مخصوص لا يجوز
لغيره ولا يستعمل الا فيه واما قول الشاعر سبحان من علقمة
الفاجر فعلى سبيل الشذوذ واما معناه فقد روى الحاكم
ان طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه سال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن معنى سبحان الله فقال تنزيه الله من كل سوء
وروى ابن ابي حاتم عن علي رضي الله عنه قال سبحان
الله كلمة احبها الله لنفسه ورضيها واحب ان تقال وقال

الكرماني وغيره اعلم انه تعالى له صفات سلبية مثل لا شريك له ولا
ضد ولا ند وكذا سائر التنزيهات وتسمى بصفات الجلال
وله تعالى صفات وجودية كالعلم والقدرة وتسمى بصفات
الاكرام فالتسبيح اشارة الى الاولى واصل ذلك الاقتباس
من قوله تعالى ذو الجلال والاكرام وحاصل المعنى تنزيه
الحق تعالى نفسه المقدسة عن جميع شوائب النقص وتبعيده
من السوء في الذات والصفات والافعال والاسما والاحكام
فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل من
سبح في الارض اذا ذهب فيها وابعد اي ما ابعد الذي له هذه
القدرة عن جميع النقايص وصدرت هنا التنزيه فاعل
ما ابعده عن النقايص او التنزيه تعالى عن العجز عن اسرائه
عبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وقد
ورد في فضل التسبيح ما رواه مسلم وغيره عن ابي ذر رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك
باحب الكلام الى الله ان احب الكلام الى الله سبحان الله وبحمده
وفي رواية الترمذي سبحان ربي وبحمده وفي رواية لمسلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الكلام افضل قال
ما اصطفى الله لملائكته او لعباده سبحان الله وبحمده وهذا
محمول على كلام الادميين والا فالقران افضل من التسبيح
والتهليل المطلق واما المأثور في وقت او حال فالاشتغال
به افضل وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومن قال سبحان
الله وبحمده في يوم مائة مرة غفرت ذنوبه وان كانت مثل

زبد

زبد البحر قال الطيبي يوم مطلق لم يعلم في اي وقت من اوقاته
وقال غيره ظاهر الاطلاق يشعر بانه يحصل هذا الاجر
المذكور لمن قال ذلك مائة مرة سوا قالها متوالية او متفرقة
في مجالس او بعضها اول النهار وبعضها اخره وقوله
غفرت ذنوبه اي الصغائر من حقوق الله خاصة لان
حقوق الناس لا تغفر الا باسترضا الخصوم وروى
البزار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم
وبحمده غرست له نخلة في الجنة واخرج الطبراني في
الاوسط والخرايطي وابن مردويه عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال اذا اصبح
سبحان الله وبحمده الف مرة فقد اشترى نفسه من الله
وكان اخر يومه عتيق الله قال الحافظ الهيثمي في
مجمع الزوائد بعد ايراده رواه الطبراني في الاوسط وفيه
من لم اعرفه انتهى وهذه فائدة عظيمة ينبغي ان
يحافظ عليها وغنيمة جسيمة يبادر الى الاعتنا بها
والمداومة عليها ويشبهها ما يتداوله السادة الصوفية
من قول لا اله الا الله سبعين الف مرة ويذكرون ان
الله يعتق بها رقبة من قالها واشترى بها نفسه من
النار او رقبة من يقولها عنه ويشتري بها نفسه من
النار ويتطوعون على فعلها لانفسهم ولمن مات من
اهاليهم واخوانهم وقد ذكرها الامام اليافعي والعارف
الكبير المحيوي ابن عربي واوصى بالمحافظة عليها وذكروا

عظيمة
صح

انه قد ورد فيه خبر نبوي وحكوا ان شابا صالحا كان من اهل
الكشف ماتت امه فصاح وبكى وخر مغشيا عليه ثم سئل
عن سبب ذلك فذكر انه راى امه في النار وكان بعض المشايخ
من السادة حاضرا وكان قد قال هذه السبعين الفا
واراد ان يدعها لنفسه فقال في نفسه عند ما سمع قول
الشاب المذكور اللهم انك تعلم اني هللت هذه السبعين
الف تهليلة واريد ان ادخرها لنفسي واشهدك اني
قد اشتريت بها ام هذا الشاب من النار فما استتم هذا
الوارد الا وتبسم الشاب وسر وقال الحمد لله ارى امي
قد خرجت من النار وامر بها الى الجنة قال الشيخ المذكور
فحصل لي فائدتان صدق الخبر المذكور وصحته وصدق كشف
هذا الشاب انتهى لكن الحديث المذكور قال بعض المشايخ لم
ترد به السنة فيما اعلم وقد وقفت على صورة سؤال للحافظ
ابن حجر رحمه الله عن هذا الحديث وهو من قال لا اله الا الله
سبعين الفا فقد اشترى نفسه من الله هل هو حديث صحيح او حسن
او ضعيف وصورة جوابه اما الحديث يعني المذكور فليس بصحيح
ولا حسن ولا ضعيف بل هو باطل موضوع لا تحل روايته
الا مقرونا ببيان حاله انتهى لكن ينبغي للشخص ان يفعلها اقتداء
بالسادة وامتثالا لقول من اوصى بها وتبركا بافعالهم
وقد ذكرها الشيخ الولي الزاهد العارف سيدي محمد بن
عراق نفعنا الله ببركاته في بعض سفيناته المولفة
وقال كان شيخه يامر بها وذكر ان بعض اخوانه ذكر
له عن بعض الصلحاء انه كانت له سبحة عددها الف وكان

يديرها

يديرها سبعين مرة من بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس
قال وهذه كرامة له من الله فنسال الله ان يمن علينا بذلك
وان يلحقنا بعباده الصالحين انتهى وعن شريح العابد قال
بلغني انه لو قسم ثواب تسبيحة على جميع هذا الخلق لاصاب
كل واحد منهم خير والفضائل كثيرة شهيرة وفيما ذكرناه
كفاية لمن له بصيرة وقوله تعالى اسرى بعبده قال
اهل اللغة اسرى وسرى لغتان زاد بعضهم انهما يختصان
بسير الليل واسرى لازم كسرى فيحتاج الى التعدية
والهمزة فيه ليست للتعدية خلافا لابن عطية وانما المعدي
الباء في بعبده ولا تقتضي مصاحبة الفاعل للمفعول
في الفعل عند الجمهور خلافا للمبرد والسهيلي والعبد
لغة المملوك من نوع من يعقل وقال في المحكم العبد الانسان
حرا كان او رقيقا لانه مملوك لباريه وقال سيبويه
انه في الاصل صفة ولكنه استعمل استعمال الاسماء واجمع
المسلمون على ان المراد بالعبد هنا سيدنا محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال هنا بعبده دون نبيه او حبيبه
لئلا تضل امته كالنصارى او لان وصفه بالعبودية المضافة
الى الله تعالى اشرف المقامات قال الاستاذ ابو علي الدقاق
رحمه الله ليس للمومن صفة اتم ولا اشرف من العبودية
ولهذا اطلقها الله تعالى على نبيه في اشرف المواطن كقوله
سبحان الذي اسرى بعبده الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده فاوحى الى عبده ما اوحى
وقال البرهان النسفي رحمه الله قيل لما وصل النبي صلى الله

وكلاهما بمعنى سار [illegible] الاهواز
وعن الليث اسرى يسري اسرا ولا بالليل
وسرى يسري سرى [illegible] ولا يقال في النهار
الا سار سعدي

عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعراج
اوحى الله تعالى اليه يا محمد اشرفك قال يا رب تنسبني الى
نفسك بالعبودية فانزل الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده
الاية وفي معنى ذلك قيل

• لا تدعني الا بيا عبدها • فانه اشرف اسمائي •

وا قوال العلماء في العبد والعبودية كثيرة وكل احد
تكلم بلسان قاله على قدر مقامه وحاله قال ابن عطاء العبد
الذي لا ملك له وقال رويم يتحقق العبد بالعبودية
اذا اسلم القياد من نفسه الى ربه وتبرا من حوله وقوته
وعلم ان الكل له وبه وقال عبد الله بن محمد حرية صفة
العبودية ان كنت لا ترى لنفسك ملكا وتعلم انك لا تملك
لها نفعا ولا ضرا وما احسن ما قيل في هذا القبيل

• وكنت قديما اطلب الوصل منهم • فلما اتاني العلم وارتفع الجهل •
• تيقنت ان العبد لا ملك له • فان قربوا فضل وان ابعدوا عدل •
• وان اظهروا لم يظهروا غير وصفهم • وان ستروا فالستر من اجلهم علو •

قال الامام الرازي دل قوله بعبده على ان الاسرا كان
بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان العبد اسم
للجسد والروح قال الله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا
اذا صلى وانه لما قام عبد الله يدعوه وقوله تعالى ليلا
هو ظرف للاسرا واستشكل كثير من الناس كون ليلا ظرفا
للاسرا لانه تقدم ان الاسرا هو سير الليل فاذا اطلق الاسرا
فهم انه واقع ليلا فهو كالصبوح في شرب الصباح لا يحتاج الى قوله
شربت الصبوح صباحا وجوابه ان الامر وان كان كذلك

الا ان العرب تستعمل مثل ذلك في بعض الاوقات اذا ارادت
تاكيد الامر والتاكيد نوع من انواع كلامهم واسلوب منه والعرب
تقول اخذ بيده وقال بلسانه وقال بعضهم فائدة التاكيد
هنا رفع توهم المجاز لانه قد يطلق على سير النهار ايضا وقال
الزمخشري اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرا
وانه وقع الاسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة
اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى
البعضية قال ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة
من الليل اي بعض الليل وقال غيره فكان المعنى سبحان الذي
اسرى بعبده في ليل واحد من كذا الى كذا وهو موضع النعي
وانما عدل عن ليلة الى ليل لانهم اذا قالوا سرى ليلة كان ذلك
في الغالب لاستيعاب الليلة بالسرى فقيل ليلا اي في ليل
قال ابن المنير رحمه الله وانما كان الاسرا ليلا لانه
وقت الخلوة والاختصاص عرفا ولانه وقت الصلاة
التي كانت مفروضة عليه في قوله تعالى قم الليل ولكون
ابلغ للمؤمن في الايمان بالغيب وفتنة للكافر قال
بعض اهل الاشارات لما محى الله اية الليل وجعل اية
النهار مبصرة انكسر الليل فجبر بان اسرى فيه بمحمد
صلى الله عليه وسلم قال ابن دحية اكرم نبينا صلى الله
عليه وسلم ليلا بامور منها انشقاق القمر وايمان الجن
به ورأى اصحابه نيرانهم كما في صحيح مسلم وخرج الى الغار
ليلا والليل اصل ولهذا كان اول الشهر وسواده يجمع
ضوء البصر ويحد كليل النظر ويستلذ فيه بالسمر وكان

قال البهاء السبكي في عروس الافراح
وعد الزمخشري منه يعني من التقليل
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا اي ليلا
قليلا اي بعض ليل واورد عليه ان
التقليل رد الجنس الى فرد من افراده •
لا تبعيض فرد الى جزء من اجزائه وفيه
نظر لان التقليل لو عنى به فرد لكان هو تكثير
الافراد الدال على الوحدة وانما التقليل
اعم من الافراد لان التقليل يصدق على
الثلاثة بالنسبة الى المائة وان قوله
ان التقليل لا يرد الى الجزء حقيقة
فصحيح لكن لا نسلم ان الليل حقيقة في
جميع الليلة بل كل جزء من اجزائه يسمى ليلا
غير ان اطلاق بعض الليل على قولنا ليس بظاهر
فان كل بعض فيه ليل ولا بعض الا ان يقال
بعض الليل يسمى ليلا باعتبار نفسه وبعض
ليل باعتبار الثاني انتهى

صلى الله عليه وسلم أكثر أسفاره ليلا وقال عليه السلام
عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل والليل وقت
الاجتهاد للعبادة وكان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورمت
قدماه وكان قيام الليل في حقه واجبا فلما كانت عبادته
ليلا أكرم بالإسراء فيه ليكون أجر المصدق به أكثر ليدخل
فيمن آمن بالغيب دون من عاينه نهارا وقدم الحق
تبارك وتعالى الليل في كتابه على ذكر النهار فقال عز
وجل وجعلنا الليل والنهار آيتين وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا إلى غير
ذلك من الآيات وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال ينزل
ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل
الآخر فيقول من يدعني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه
ومن يستغفرني فأغفر له الحديث وهذه الخصيصة
لم تجعل للنهار رتبة بها صلى الله عليه وسلم لما في ذلك الوقت
من الليل من سعة الرحمة ومضاعفة الأجر وتعجيل الإجابة
ولا مبالاة بكلام الفلاسفة أن الظلمة من شأنها الإهانة والشر
ولأن الله تعالى أكرم أقواما في الليل بأنواع الكرامات كقوله
في قصة إبرهيم صلى الله عليه وسلم فلما جن عليه الليل الآية
وفي لوط بقوله فاسر بأهلك بقطع من الليل وفي موسى
وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وناجاه ليلا وأمره بإخراج
قومه ليلا انتهى ومن هنا اختلف في التفضيل بين
الليل والنهار وصنف فيه بعضهم كتابا فرجح الليل بوجوه
منها ما تقدم آنفا ومنها سبقه النهار أي تقدمه في
الخلق

الخلق وفيه ساعة الإجابة كما تقدم وهي في كل الليالي
بخلاف الأيام فهي منها في يوم الجمعة فقط ورجح النهار
بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه
الشمس يوم عرفة أو يوم الجمعة لكن رد بأن هذا بالنسبة
إلى الأيام لا الليالي وبأن ليلة القدر خير من ألف شهر وقد
دخل في هذه الليلة أربعة آلاف جمعة قلت ومن
أعظم الأدلة القاطعة للنزاع الدالة على تفضيل الليل
وقوع رؤية الله تعالى فيه للنبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الإسراء ونزول القرآن فيه كما يدل عليه قوله تعالى
إنا أنزلناه في ليلة القدر الآية والله أعلم قال أبو
أمامة بن النقاش رحمه الله ليلة الإسراء أفضل من ليلة
القدر في حق النبي صلى الله عليه وسلم وليلة القدر أفضل
في حق الأمة لأنها لهم خير من عمل أكثر من ثمانين سنة ممن
كان قبلهم وأما ليلة الإسراء فلم يأت في أرجحية العمل
فيها حديث صحيح ولا ضعيف ولذلك لم يعينها النبي صلى
الله عليه وسلم وقول الإمام البلقيني رحمه الله في
قصيدته التي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم
٥ أولاك رؤيته في ليلة فضلت ٥ ليالي القدر فيها الرب رضاكا ٥
يؤخذ منه أن ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر ولعل
الحكمة في ذلك كما قاله في الاصطفا اشتمالها على رؤيته
التي هي أفضل كل شيء ولذا لم يجعلها ثوابا عن عمل من
الأعمال مطلقا لمن من بها على عباده المؤمنين يوم القيمة
تفضلا منه تعالى انتهى وهذا ما يؤيد ما قدمناه آنفا

في تفضيل الليل لكن ينبغي النظر في تحرير محل الخلاف
وقد حرره بعضهم كما وجد بخط الحافظ ابن حجر نقلا عن
الهدي فقال ان كان المراد ان ليلة الاسرا ونظايرها
من كل عام افضل من ليلة القدر بحيث يكون قيامها والدعا
فيها افضل من ليلة القدر فهذا باطل لم يقله احد من
المسلمين وهو معلوم الفساد بالاضطرار وان اراد
الليلة المعينة التي اسري فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم
وحصل له فيها ما لم يحصل له في غيرها من غير ان يشرع
تخصيصها بقيام ولا عبادة فهذا يصح ان قام دليل
على ان انعام الله على نبيه ليلة الاسرا كان اعظم من انعامه
عليه بانزال القران ليلة القدر وهذا لا يعلم الا بوحي
ولا يجوز الا جدا ان يتكلم فيه بلا علم ولا يعرف عن احد
من الصحابة انه خص ليلة الاسرا بامر من الامور
ولهذا لا يعرف اي ليلة كانت وان كان الاسرا في نفسه
من اعظم فضايله كما انه صلى الله عليه وسلم لم يتخذ غار
حرا الذي انزل فيه الوحي ولا خص اليوم الذي ابتدي
فيه بالوحي بشي انتهي ولها هو هذا الكلام ان الخلاف بين
الليلة المعينة التي اسري بها بالنبي صلى الله عليه وسلم
وبين ليلة القدر التي انزل فيها القران كما يدل
عليه قوله ان قام دليل على ان انعام الله على نبيه ليلة
الاسرا كان اعظم من انعامه عليه بانزال القران
ليلة القدر اما الليلة المعينة التي اسري به صلى الله
عليه وسلم فيها وليلة القدر في كل عام فينبغي ان يكون

فيها

عليه

فيها قول ابي امامة بن النقاش المتقدم واما نظاير الليلة
المعينة من كل عام فلا شك ان في ليلة القدر من كل عام افضل
منها لما لا يخفى وقوله تعالى من المسجد الحرام من لابتدا
الغاية والمسجد لغة مفعل بالكسر اسم لمكان السجود وبالفتح
اسم للمصدر واما شرعا فكل موضع من الارض لقوله صلى
الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا ولما كان
السجود اشرف افعال الصلاة لقرب العبد من ربه
اشتق اسم المكان منه فقيل مسجد ولم يقولوا مركع ثم
ان العرف خصص المسجد بالمكان المهيا للصلوات الخمس
حتى يخرج المصلى المجتمع فيه للاعياد ونحوها فلا يعطى
حكمه وكذلك الربط والمدارس فانها هيئت لغير ذلك
والحرام اي المحرم وهو ضد الحلال وذلك لما منع المحرم
فيه ما يجوز لغيره ولما منع في الحرم ما يجوز في غيره من
البلاد قال الماوردي كل موضع ذكر الله المسجد الحرام
فالمراد به الحرم الا في قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد
الحرام فانه اراد به الكعبة وقال بعضهم المراد بالمسجد
الحرام في قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام مكة لانه صلى الله عليه وسلم كان في بيت ام هاني
واول مسجد وضع على الارض المسجد الحرام وهو مسجد مكة
شرفها الله كما قال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي
ببكة مباركا وفي الصحيحين عن ابي ذر رضي الله عنه قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع
على الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد

السجود افضل افعال الصلاة

اول مسجد وضع على الارض

الاقصى قلت وكم بينهما قال اربعون عاما الحديث وقد
اشكل هذا الحديث على بعضهم فقال معلوم ان سليمان
ابن داود صلى الله عليهما وسلم لما بنى بيت المقدس
سال الله ثلاثا الحديث الاتي ان شا الله تعالى وهو بعد
ابرهيم صلى الله عليه وسلم كما قال اهل التاريخ باكثر من
الف عام وهذا القايل جهل التاريخ بان سليمان عليه
السلام انما كان له من المسجد الاقصى تجديده لا تاسيسه
والذي اسسه هو يعقوب بن اسحق صلى الله عليهما وسلم بعد
بنا ابرهيم الكعبة بهذا القدر وقال بعضهم ان هذين
المسجدين وضعا قديما ثم خربا ثم بنيا انتهى وزعم
بعضهم ان اول من بنى البيت ادم وان غيره من ولده
وضع بيت المقدس بعده باربعين عاما حكاه ابن
الجوزي وغيره وذكر ابن هشام في التيجان ان ادم
عليه السلام لما بنى البيت امره جبريل بالمسير الى بيت
المقدس وان يبنيه فبناه ونسك فيه وقوله تعالى
الى المسجد الاقصى كلمة الى لانتها الغاية ومدلولها
هنا انه وصل الى حد ذلك المسجد ولا دلالة في اللفظ
على انه دخل لكن القرينة تدل على دخوله وهي العلم
بانه انما يسري به الى بيت المقدس ليدخله ويبعد
ان يسرى به الى المقدس ولا يدخله وصرحت السنة
الصحيحة بما اقتضته القرينة من دخوله صلى الله عليه
وسلم المسجد الاقصى وهو الذي عمره نبي الله سليمان صلى
الله عليه وسلم بامر الله عز وجل كما تقدم وما زال مكرما

ثلاث وتسعين سنة على ما قاله ابن الاثير

بيت م

محترما

محترما وهو احد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال
شرعا الا اليها اي لا يقصد بالزيارة والتعظيم من
جهة امر الشارع الا هذه الثلاثة وقد روى النسائي
وابن ماجة وغيرهما ان سليمان لما بنى بيت المقدس سال
الله تعالى ثلاثا ساله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاعطاه
اياه وساله حكما يواطي حكمه فاعطاه اياه وساله من
اتى هذا البيت يريد بيت المقدس لا يريد الا الصلاة
فيه ان يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا ارجو ان يكون قد اعطاه
الثالثة وروى ابو داود وابن ماجة عن ميمونة
قلت يا رسول الله افتنا في بيت المقدس قال ارض المحشر
والمنشر ايتوه فصلوا فيه فان صلاة فيه كالف صلاة في
غيره قلت ارايت ان لم استطع اصلي فيه قال فتهدي له
زيتا يسرج فيه فمن فعل ذلك فهو كمن اتاه وهو معدن
الانبيا من لدن الخليل صلى الله عليه وسلم ولذا اجتمعوا
له هناك كلهم وامهم في محلتهم وداره ليدل ذلك على
انه الرئيس المقدم والامام الاعظم صلى الله عليه وسلم
والاقصى افعل من القصى والقاصي هو البعيد وسمي
الاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام فبينهما
مسافة ثلاثين يوما عادة او لانه لم يكن وراءه مسجد يثبت
له هذا النعت وان كان وراءه بعد مساجد هي اقصى منه
لان العلمية اذا ثبتت لسبب لم يضر زوال السبب
ويحتمل ان يريد بالاقصى البعيد دون مفاضلة فانعدم التفضيل

لكن في الطبراني من حديث ابي الدرداء الصلاة في المسجد الحرام بمائة الف صلاة والصلاة في مسجدي بالف صلاة والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة ه

لبس على بابه قال الامام ابن ابي جمرة والحكمة في اسرائه
صلى الله عليه وسلم اولا الى بيت المقدس لاظهار الحق على من
عاند لانه لو عرج به من مكة الى السما لم يجد لمعاندة الاعدا سبيلا
الى البيان والايضاح فلما ذكر انه اسرى به الى بيت المقدس
سالوه عن اشيا من بيت المقدس كانوا راوها وعلموا انه لم
يكن راها قبل ذلك فلما اخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما
ذكر من الاسرا به الى بيت المقدس في ليلة واذا صح خبره في
ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكر انتهى وقيل الحكمة
في ذلك ليحصل له العروج مستويا من غير تعويج لما روي
عن كعب ان باب السما الذي يقال له مصعد الملئكة يقابل
بيت المقدس قال وهو اقرب الارض الى السما بثمانية
عشر ميلا قال بعض الحفاظ وفيه نظر وقيل الحكمة
في ذلك ان الله اراد ان يريه القبلة التي صلى اليها مدة كما عرف
الكعبة التي صلى اليها وقيل لانه مجمع ارواح الانبيا
فاراد الله تعالى ان يشرفهم بزيارته صلى الله عليه وسلم
وقيل لانه محشر الخلايق لانبيا فحصل له الرحيل اليه
والجملة ليجمع بين اشتات الفضايل وقال ابن
دحية يحتمل ان يكون الحق سبحانه وتعالى اراد ان لا
يخلي تربة فاضلة من مشهده ووطي قدمه فتمم تقديس
بيت المقدس بصلاة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيه
فلما تم تقديسه اخبر صلى الله عليه وسلم انه لا تشد
الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام لانه مولده
ومسقط راسه وموضع نبوته ومسجد المدينة لانه

محل

محل هجرته وارض تربته ومسجد الاقصى لانه موضع
معراجه صلى الله عليه وسلم وما احسن قول بعض
العارفين في رمز لتلك الحقايق البالغة نهاية التمكين
• ومسجدي الاقصى مساحب بردها • وطيبي ثرى ارض عليها تمشت •
وقوله تعالى الذي باركنا حوله البركة الزيادة
والنما قال الراغب البركة ثبوت الخير الالهي في الشي
والمبارك ما فيه ذلك الخير فان قيل كيف قال
باركنا حوله ولم يقل باركنا عليه او فيه مع ان البركة
في المسجد تكون اكثر من خارج المسجد وحوله خصوصا
المسجد الاقصى قلت اراد البركة الدنيوية كالانهار
الجارية والاشجار المثمرة وذلك حوله لا فيه وقيل
اراد البركة الدينية فانه مقر الانبيا عليهم الصلاة
والسلام ومتعبدهم ومهبط الوحي والملئكة وانما
قال باركنا حوله لتكون بركته اعم واشمل فانه اراد بما
حوله ما احاط به من ارض الشام وما قاربه منها وذلك اوسع
من مقدار بيت المقدس لانه اذا كان هو الاصل وقد
بارك في لواحقه وتوابعه من البقاع كان هو مباركا فيه
بالطريق الاولى بخلاف العكس وقيل اراد البركتين
الدنيوية والدينية وفيه ما مر من التوجيه وقيل
المراد باركنا حوله من بركة لبنات منه نعمت جميع الارض
لان مياه الارض كلها اصل انفجارها من تحت صخرة بيت
المقدس انتهى فان قيل اذا كانت البركة حول المسجد
الاقصى كما ذكرتها فاذا يتميز عليه المسجد الحرام اجيب

بان البركة حول المسجد الاقصى اما باعتبار الدنيا ورفاهيتها
وخصبها والبركة حول المسجد الحرام باعتبار الدين
والفضل وتضعيف الحسنات فيه للطائفين والعاكفين
والمتوطنين والوافدين لان الاجر يكون على قدر التعب
وهو واد غير ذي زرع نزهه الله عن خصب الدنيا وسعتها
لئلا يكون القصد اليه ممزوجا بقصد الدنيا وهذه
البركة الدينية افضل من تلك البركة الدنيوية انتهى
واما ان يكون المراد بالبركة في المسجد الاقصى البركتين
الدنيوية والدينية لا البركة الدينية التي في المسجد الحرام
تفضلها باعتبار ما تقدم وحوله منصوب على الظرف اي
اوقعنا البركة حوله وحول الشيء جانبه الذي يمكنه ان
يتحول اليه والضمير فيه راجع الى المسجد الاقصى وقوله
تعالى لنريه من اياتنا قرا العامة بنون العظمة
جريا على باركنا وفيه التفات من الغيبة في قوله
اسرى بعبده الى التكلم في باركنا ولنريه ومن اياتنا
وطريقة الالتفات من طرق البلاغة ففي الاية التفاتان
فالالتفات الاول هو كما تقدم والالتفات الثاني هو من
التكلم الى الغيبة في قوله انه هو السميع البصير بناء على
ان الضمير فيه لله تعالى كما سياتي ووجه ذلك ان قوله
سبحان الذي اسرى بعبده يدل على مسراه من عالم الشهادة
الى عالم الغيب فهو بالغيبة انسب وقوله الذي
باركنا حوله دال على انزال البركات وتعظيم شان المنزل
فهو بالحكاية على التفخيم احرى وكذا قوله لنريه من اياتنا

يدل

يدل على عظمة الاراءة والايات المرئية فهو اولى
بالتعظيم والحكاية على التفخيم ايضا وقوله انه هو
السميع البصير اشارة الى مقام اختصاصه بالمنح
والزلفى وغيبة شهوده في عين بي يسمع وبي يبصر
فالعود الى الغيبة اولى وقرا الحسن ليريه بالياء التحتية
اي الله تعالى فعلى هذه القراءة يكون في الاية اربع التفاتات
فالثالث والرابع هو الالتفات من التكلم في باركنا الى الغيبة
في ليريه ثم التفت الى التكلم في اياتنا ووجههما انه في ليريه
اعاده الى مقام السر والغيبة من هذا العالم فالغيبوبة
بها اليق وقوله من اياتنا عود الى التعظيم على ما سبق ومعنى
الرؤية هو ما اري تلك الليلة من عجائب السموات والارض
والايات الدالة على قدرة الله تعالى ومنها ما ذكر في القصة
من ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت
المقدس وتمثيل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم ومن
هنا للتبعيض وانما اتى بها هنا تعظيما لايات الله تعالى
فان هذا الذي راه محمد صلى الله عليه وسلم وان كان جليلا
عظيما فهو بعض بالنسبة الى جملة ايات الله وعجائب قدرته
وجليل حكمته والرؤية هنا بصرية وقيل قلبية واليه
نحا ابن عطية فانه قال ويحتمل ان يريد ليرى محمد للناس
اية اي يكون النبي صلى الله عليه وسلم اية في ان يصنع
الله لبشر هذا الصنع فتكون الرؤية قلبية على هذا
والاية العلامة الظاهرة تطلق على ما يلازمها فاية الشيء علامته
الظاهرة ثم تطلق ذلك على صدق الرسل وعلى الائمة وكراماتهم

الايات لها اطلاقات

الاولياء وما اشبه ذلك فان قيل الاية تدل على انه تبارك
وتعالى ما اراه الا بعض الايات وقال في حق ابرهيم عليه السلام
وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض يدل على انه
تعالى اراه جميع الايات فيلزم ان يكون معراج ابرهيم افضل
من معراج محمد صلى الله عليه وسلم اجيب بان ملكوت السموات
والارض بعض ايات الله ايضا بعضا مخصوصا والبعض المطلق
افضل من البعض المخصوص اذ المطلق ينصرف الى الكامل منه
والجواب المشهور عنه هو ان بعض ايات الله افضل من ملكوت
السموات والارض انتهى وقوله تعالى انه هو السميع البصير
الصحيح ان الضمير في انه لله تبارك وتعالى اي انه هو السميع لاقوال
محمد البصير بافعاله قال بعض المحققين ولا بعد ان يرجع
هو الامام الطيبي
الضمير الى العبد وهو النبي صلى الله عليه وسلم كما نقله ابو البقا
عن بعضهم قال انه السميع لكلامنا البصير لذاتنا واما توسط
ضمير الفصل فللاشعار باختصاصه بهذه الكرامة وحده ولعل السر
في مجيء الضمير محتملا للامرين الاشارة الى المطلوب وانه صلى
الله عليه وسلم انما راى رب العزة به وسمع كلامه به قال الماوردي
في الحكمة بالاتيان بالسميع والبصير هنا وجهان احدهما انه تعالى
وصف نفسه بهما وان كانا من صفاته اللازمة لذاته في الاحوال
كلها لانه حفظ رسوله عند الاسرا به في ظلمة الليل فلم يضره
ان لا يبصر فيها وسمع دعاه فاجابه الى ما ساله الثاني ان
قومه لما كذبوه حين اخبرهم باسرائه فقال السميع يعني
لما يقولونه من تصديق او تكذيب البصير فيما يفعله
من الاسرا والمعراج انتهى وهذا بنا على ان الضمير لله تعالى

وعليه

وعليه فالسميع هو الذي لا يعزب عن ادراكه مسموع وان
خفي فيسمع السر والنجوى بل ما هو ادق واخفى بل يدرك
دبيب النملة السوداء في الليلة الظلما على الصخرة الصما
يسمع بغير اصمخة واذان وسمعه منزه ان يتطرق
اليه الحدثان فالسمع في حقه عبارة عن صفة ينكشف
بها كمال صفات المسموعات والبصير هو الذي يشاهد
ويرى ولا يعزب عنه ما تحت الثرى ابصاره منزه عن
ان يكون بحدقة واجفان تقدس عن انطباع الصور
والالوان في ذاته تعالى كما تنطبع في حدقة الانسان فالبصر
في حقه عبارة عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات
وقد ختم تعالى وتقدس الاية الدالة على اسرائه صلى الله
عليه وسلم وما يتعلق به بهاتين الصفتين العظيمتين
لما ذكرنا فان قلت الاسرا والمعراج كانا في ليلة واحدة
فهلا اخبرهم تعالى بعروجه الى السما قلت استدرجهم
الى الايمان بذكر الاسرا اولا فلما ظهرت امارات صدقه وتحقق
لهم براهين رسالته واستانسوا بتلك الاية الخارقة اخبرهم
بما هو اعظم منها وهو المعراج فحدثهم النبي صلى الله عليه وسلم به وانزله
الله تعالى في كتابه في سورة النجم فقال بسم الله الرحمن الرحيم
والنجم اذا هوى الايات والكلام على بعض فوائد ذلك
عند الملك المالك فقوله تعالى والنجم اذا هوى سبب نزولها
كما قاله المفسرون قول المشركين ان محمدا يختلق القران
ومناسبتها لاخر ما قبلها ظاهرة لانه تعالى قال ام يقولون
تقوله اي اختلق القران فنسبوه الى الشعر وقالوا هو

كان من هو مجنون فاقسم تعالى في اول هذه السورة انه ما ضل
وان ما اتى به هو الوحي من الله والنجم مكية بالاجماع وهي
اول سورة نزلت فيها سجدة واول سورة اعلن رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقراءتها في الحرم والمشركون يسمعون
وفيها سجد وسجد معه المومنون والمشركون والجن
والانس غير ابي لهب فانه رفع حفنة من تراب الى الجبهة
وقال يكفي هذا كذا وقع في عبارة بعض المفسرين كابي
حيان والسبكي غير ابي لهب وهو غريب ففي رواية
الشيخين وغيرهما عن ابن مسعود وسجد الناس كلهم
الا رجلا رايته اخذ كفا من تراب فسجد عليه فرايته
قتل كافرا وهو امية بن خلف وفي رواية ابن ابي
شيبة الا رجلين من قريش ارادا بذلك الشهرة وسمى
احد المبهمين امية بن خلف المتقدم والثاني الوليد
ابن المغيرة كما عند ابن سعد وقال التقي السبكي في
تفسيره وعن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب وكانت
عنده ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يخرج الى
الشام فقال لاتين محمدا فلأوذينه فاتاه فقال يا محمد
هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجهه
ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا
فوجم لها وقال ما اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة
الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف
عليهم راهب من الدير فقال ان هذه ارض مسبعة فقال

ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني
اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم
واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب
عتبة فقتله انتهى كذا وقع عتبة بالتكبير وهو مشكل
لان عتبة بن ابي لهب اسلم يوم الفتح هو واخوه معتب وشهدا
حنينا والطائف والظاهر ان الذي وقع له ذلك هو عتيبة بالتصغير
ومات كافرا وكان عتيبة تزوج ام كلثوم وعتبة
تزوج رقية ثم طلقاها ايضا لما اسلمت ولم يدخلا بهما
وقد تزوجهما عثمان بن عفان رضي الله عنه واحدة بعد
واحدة وما تساعده والحديث المذكور قد ذكره في
الكشاف كما ذكره السبكي والواو في والنجم للقسم والنجم
مقسم به فان قيل كيف اقسم بالنجم وهو مخلوق وقد
ورد النهي عن القسم بغير الله تعالى اجيب عنه باوجه
احدها ان العرب كانت تعظم هذه الاشياء وتقسم بها
فنزل القران على ما يعرفونه الثاني ان الاقسام انما
تكون بما يعظمه المقسم او يجله وهو فوقه والله سبحانه
وتعالى ليس فوقه شيء فاقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته
لانها تدل على باريء وصانع وروى [illegible] عن الحسن
قال ان الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وليس لاحد ان يقسم
الا بالله تعالى والثالث ان القسم [illegible] الخبر وتوكيده فان قيل
ما معنى القسم منه تعالى فانه ان كان لاجل المومن فهو يصدقه
بمجرد الاخبار من غير قسم وان كان لاجل الكافر فلا يفيد
فهو اجيب بان القران نزل بلغة العرب ومن عادتها

القسم اذا ارادت توكيد امر واجاب الاستاذ ابو
القاسم القشيري رحمه الله تعالى بان الله تعالى ذكر القسم
لكمال الحجة وتاكيدها وذلك ان الحكم يفصل باثنين
اما بالشهادة واما بالقسم فذكر تعالى في كتابه النوعين
حتى لا يبقى لهم حجة فقال شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة
واولوا العلم وقال تعالى قل اي وربي انه لحق وعن
بعض الاعراب انه لما سمع قوله تعالى وفي السما رزقكم
وما توعدون فورب السما والارض انه لحق صاح وقال
من ذا الذي اغضب الجليل حتى الجاه الى اليمين وقد
اختلف المفسرون في المراد بالنجم هنا على اقوال
احدها انه الجملة من القران اذا نزلت وكل ما نزل منه شي
في وقت فهو نجم قال ابن عباس في تفسير هذه الاية
اقسم بالقران اذا نزل نجوما على رسول الله صلى الله عليه
وسلم اربع ايات وثلاث ايات والسورة وكان بين اوله
واخره عشرون سنة وممن قال به مقاتل والضحاك
ومجاهد والهوي على هذا القول النزول من اعلا
الى اسفل وعلى هذا فسمي القران نجما لتفرقه في النزول
والعرب تسمي التفريق تنجيما والمفرق نجوما قال
الرازي ففي هذا القسم استدلال بمعجزة النبي صلى الله
عليه وسلم على صدقه وهو كقوله يس والقران الحكيم انك لمن
المرسلين الثاني انه عنى بالنجم الثريا والعرب تطلق
اسم النجم على الثريا خاصة فلا يذكرونه بالاطلاق الا لها
قال قائلهم طلع النجم عشا ابتغى الراعي كساه وقال
ايضا

ايضا طلع النجم غدية ابتغى الراعي شكيته يعني الثريا
وهي تطلع العشا في الثلث الاخير من فصل الخريف
قبل الشتا بشهر وذلك مبادي قوة البرد لان اخر كل
فصل شبيه بالذي بعده فلهذا طلب الراعي الكسا وتطلع
بالغداة في الصيف وقت اوان اللبن فلهذا طلب الشكية
تصغير شكوة وهي جلد الرضيع يتخذ للبن اصغر من الوطب
وفي الحديث ما طلع نجم قط وفي الارض من العاهة شي
الا ارتفع رواه الامام احمد واراد بالنجم الثريا وقد صار
النجم عند الاطلاق علما على الثريا بالغلبة ولا يكون علما
على الثريا الا بالالف واللام فاذا اخرجت منه الالف
واللام صار نكرة واطلقوا على الثريا نجما وان كانت
انجما قال ابن دريد هي سبعة انجم ستة منها ظاهرة
وواحد خفي يمتحن الناس به ابصارهم وقال غيره
اختلفوا في عددها وذكر القاضي عياض في الشفا انه
صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا احد عشر نجما
وذكر السهيلي انه صلى الله عليه وسلم كان يرى فيها اثنى
عشر نجما وقال القرطبي في كتاب اسما النبي صلى الله
عليه وسلم ومناقبه انها لا تزيد على تسعة انجم فيما
يذكرون وهذا القول الثاني وهو ان المراد بالنجم
الثريا قاله ابن عباس ومجاهد في رواية عنهما واختاره
ابن جرير والزمخشري وقال السمين انه الصحيح
الثالث ان النجم اسم جنس والمراد النجوم كلها وهذا قاله
الحسن ومجاهد قال الرازي ومناسبة ذلك ان

النجوم يهتدى بها فاقسم بها لما بينهما من المشابهة والمناسبة
رابعها ان المراد بالنجم الرجوم من النجوم يعني ما يرمى به
الشياطين وتسقط في اثارهم عند استراقهم السمع وهذا
قاله ابن عباس والحسن قال ابن كثير وهذا القول له اتجاه
وقال الواحدي وهذا القول ظاهر ونحن نشاهد هوى النجم
اذا رمي به قال الماوردي وسببه ان الله لما اراد بعثة
محمد صلى الله عليه وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل
مولده فذعر اكثر العرب منها وفزعوا الى كاهن لهم ضرير كان
يخبرهم بالحوادث فسالوه عنها فقال انظروا البروج الاثنى
عشر فان انقض منها شي فهو ذهاب الدنيا وان لم ينقض
منها شي فسيحدث في الدنيا امر عظيم فاستشعروا ذلك
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الامر العظيم
الذي استشعروه فانزل الله والنجم اذا هوى اي ذلك
النجم الذي هوى هو لهذه النبوة التي حدثت وقال ابن
القيم انه اظهر الاقوال ووجهه بان الله اقسم بهذه
الاية الظاهرة المشاهدة التي نصبها اية وحفظا للوحي من
استراق الشياطين على ان ما اتى به رسوله حق لا سبيل للشيطان
ولا طريق اليه بل قد حرس بالنجم اذا هوى رصدا بين يدي
الوحي وحرسا له فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه
في غاية الظهور وفي المقسم به دليل على المقسم عليه خامسها
ان المراد به النبي صلى الله عليه وسلم اذا هوى نزل ليلة المعراج
وهذا قاله جعفر الصادق كما نقله القاضي عياض عنه قال
بعضهم ويعجبني هذا القول لملايمته من وجوه فانه صلى الله
عليه

عليه وسلم نجم هداية خصوصا لما هدي اليه من فرض الصلاة
تلك الليلة وقد علمت منزلة الصلاة من الدين ومنها انه
امنا في السما والارض ومنها التشبيه بسرعة السير
انه كان ليلا وهو وقت ظهور النجم فهو لا يخفى على ذي بصر
واما ارباب البصاير فلا يمتري ذلك كابي بكر الصديق
رضي الله عنه انتهى وفي ذلك اقوال اخرى اضربنا عنها
طلبا للاختصار ولظهور ضعفه وتوهينا عليها وقوله اذا
هوى اي سقط من علو الى سفل فعلى القول بانه القران فالمعنى
اذا نزل وعلى القول بانه الثريا او جميع النجوم فالمراد بالهوى
السقوط في مغاربها من الافق وعلى القول بانها الرجوم
فالمراد بالهوي الرمي بها وعلى القول بانه النبي صلى الله
عليه وسلم فالمراد بالهوي نزوله ليلة المعراج فان قيل
ما العامل في اذا وهل هي شرطية او لا واذا كانت شرطية
فاين جوابها اجيب بان الظاهر انها ظرفية محضة
لا شرطية والعامل فيها فعل القسم المحذوف وتقديره
اقسم بالنجم وقت هويه قاله ابو البقا وغيره وهو مشكل
فان فعل القسم انشا والانشا حال واذا لما يستقبل
من الزمان فكيف يتلاقيان قال الطيبي نقلا عن
المقتبس لوجهان اذا قد انسلخ عنها معنى الاستقبال
وصارت للوقت المجرد ونحوه اتيك اذا احمر البسر
اي وقت احمراره فقد عري عن معنى الاستقبال لانه
وقت العيبة عنه بقوله اتيك واما ان يكون العامل
في اذا نفس النجم الذي اريد به القران قاله ابو البقا وفيه

منظر اذا اريد به انه اسم لهذا الكتاب المخصوص وقد يقال
ان النجم بمعنى المنجم لانه نزل والقران المنجم في هذا الوقت
قاله التقي السبكي في تفسيره ويحتمل ان يوخذ من فعل
القسم معنى التعظيم ويجعل هذا العامل في اذا ويحتمل ان
يقال ان اذا شرطية على بابها وجوابها محذوف
يدل عليه القسم لكن تقديره خبرا لا انشا وجملة الشرط
وجوابه المحذوف معترضة بين قوله والنجم وقوله
ما ضل صاحبكم قال الامام الرازي الفايدة في تقييد
القسم بالنجم بوقت هويه انه اذا كان في وسط السما
بعيدا عن الارض لا يهتدي به الساري لانه لا يعلم به المشرق
من المغرب من الشمال فاذا زال تبين بزواله وتميز جانب
عن جانب كذلك النبي صلى الله عليه وسلم خفض جناحه للمومنين
وكان على خلق عظيم وخص الهوي دون الطلوع لعموم الاهتدا
به في الدين والدنيا اما الدنيوي فلما ذكروا اما الديني فكما
قال الخليل صلى الله عليه وسلم لا احب الافلين وفيه لطيفة
وهي ان القسم بالنجم يقتضي تعظيمه وقد كان من
المشركين من يعبده فنبه على عدم صلاحيته للالهية
بهويه وافوله قوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى
هذا جواب القسم قال الزمخشري والضلال نقيض الهدى
والغي نقيض الرشد اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون
من نسبتكم اياه الى الضلال والغي وقال الرازي ما ملخصه
وتحقيق الفرق بين الضلال والغي ان الضلال اعم استعمالا
في المواضع تقول ضل بعيري ورحلي ولا تقول غوى فالمراد

من

من الضلال ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا اصلا والغواية
ان لا يكون له طريق الى المقصد مستقيم فالضال كالكافر
والغاوي كالفاسق والمعنى انه على الطريق وان طريقه
مستقيم قال ابن القيم نفى الله سبحانه وتعالى عن رسوله
الضلال المنافي للهدى والغي المنافي للرشاد ففي ضمن
هذا النفي الشهادة له بانه على الهدى والرشد فالهدى في
علمه والرشد في عمله وهذان الاصلان هما غاية كمال
العبد وبهما سعادته وصلاحه وقوله صاحبكم يعني به
النبي صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش ولفظة صاحب
تضاف تارة الى المصحوب الادنى كامنا وتارة الى الاعلى كقولنا
صاحب رسول الله وتامل كيف قال صاحبكم ولم يقل محمد تاكيدا
لاقامة الحجة عليهم بانه صاحبهم وهو اعلم الخلق به وبحاله
واقواله واعماله وانهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون
عليه امرا واحدا قط وقد نبه تعالى على ذلك بقوله ام لم يعرفوا
رسولهم وبقوله وما صاحبكم بمجنون قوله تعالى وما ينطق
عن الهوى نزلت لما قالت قريش ان محمدا تقول القران من
تلقا نفسه وقوله وما ينطق عن الهوى دليل على انه ما ضل
وما غوى تقديره كيف يضل او يغوي وهو لا ينطق عن الهوى
وانما يضل من يتبع هواه ويدل عليه قوله تعالى ولا تتبع
الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال تعالى اولا ما ضل وما غوى
بصيغة الماضي وقال هنا وما ينطق بصيغة المضارع وهو
ترتيب في غاية الحسن اي ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون
وما غوى حين اختلى بنفسه وما ينطق عن الهوى الان حين ارسل

الكم وحملنا هذا عليكم فلم يكن اولا ضالا ولا غاويا وصار الان
منقذا من الضلال ومرشدا وهاديا ولم يقل وما ينطق
بالهوى لان نفي نطقه عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر
عن هوى واذا لم يصدر عن هوى كيف ينطق به فتضمن
نفي الامرين نفي الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن
النطق فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا الغي
والضلال فمن على ذلك بابها وسواء ولى من جعلها
بمعنى البا اي ما ينطق بالهوى اي ما يتكلم بالباطل والهوى
مقصور مصدر هويته من باب تعب وهو ميل النفس
الامارة وانما سمي الهوى هوى لانه يهوي بصاحبه قال
تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه الاية وقال تعالى ومن
اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله الاية وقال صلى الله
عليه وسلم ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فالمنجيات خشية
الله في السر والعلانية والحكم بالعدل في الرضى والغضب والاقتصاد
في الفقر والغنا والمهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء برايه رواه البزار عن انس وقال صلى الله عليه وسلم
ما تحت ظل السما من اله يعبد من دون الله اعظم عند الله من
هوى متبع رواه الطبراني عن ابي امامة قيل كان على خاتم
بعض الحكام من غلب هواه على عقله افتضح وقال ابن دريد
في مقصورته ٥ وآفة العقل الهوى فمن علا ٥
٥ على هواه عقله فقد نجا ٥ قوله تعالى ان هو الا وحي
يوحى قال الامام الرازي هذا تكملة للبيان وذلك انه تعالى
لما قال وما ينطق عن الهوى كان قائلا يقول فعن ذا ينطق اعن الدليل

والاجتهاد

والاجتهاد فقال لا انما ينطق عن حضرته بالوحي وهذا اللفظ
ابلغ من ان لو قيل هو وحي يوحى وفيه فائدة غير المبالغة
وهو انهم كانوا يقولون هو قول كاهن هو قول شاعر فالمراد
نفي قولهم وذلك يحصل بصيغة النفي فقال ما هو كما يقولون
وزاد بل هو وحي وكلمة ان استعملت مكان ما للنفي كما استعملت
ما للشرط مكان ان وهو ضمير يعود على المصدر المفهوم من
الفعل وهو ينطق اي ما نطقه الا وحي يوحى وهذا احسن
من قول من جعل الضمير عائدا الى القران كالكلبي ومقاتل وادعى
فيه ابن عطية الاجماع فان عوده الى القران عود على غير
مذكور ولم يشمل جميع نطق النبي صلى الله عليه وسلم وعوده
الى النطق المذكور يعم نطقه بالقران والسنة وان كلاهما وحي
وعلى عوده الى النطق هو بمعنى المنطوق به لان النطق لا يوحى
وانما يوحى المنطوق به واختار التقي السبكي ان يكون الذي
يعود عليه الضمير ما عنه النطق وفهم ذلك من قوله
عن الهوى كانه قال وما ينطق عن الهوى ما ينطق الا عن
وحي وسياق الكلام يرشد الى هذا المعنى وقوله يوحى
صفة لوحي وفائدة المجيء بهذا الوصف انه ينفي المجاز
اي هو وحي حقيقة لا بمجرد التسمية كقولك هذا قول يقال
وقيل تقديره يوحى اليه ففيه مزيد فائدة واستدل
على ان جميع نطقه صلى الله عليه وسلم بالقران والسنة وحي
بقوله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وهما القران
والسنة ولكن القران وحي يتلى والسنة وحي لا يتلى ولما
روى الدارمي عن يحيى بن ابي كثير قال كان جبريل ينزل

على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن
ومثله ما روي عن حسان بن عطية وبما روى ابو داود وغيره
من حديث المقدام بن معدي كرب عن النبي صلى الله عليه وسلم
الا اني اوتيت القرآن ومثله معه وفي الصحيحين ان رجلا
سأل النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة كيف ترى
في رجل احرم بعمرة في جبة بعدما تضمخ بالخلوق فنظر اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سكت فجاءه
الوحي ثم سري عنه فقال اين السائل انفا فجيء به فقال
انزع عنك الجبة واغسل اثر الطيب واصنع في عمرتك
ما تصنع في حجتك وروى الامام احمد وغيره عن عبد الله
ابن عمرو رضي الله عنهما قال كنت اكتب كل شيء اسمعه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم اريد احفظه فنهتني قريش
فقالوا انك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضى
فامسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني الا حق وروى
الامام احمد وغيره عن ابي امامة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ليدخلن الجنة بشفاعة رجل مثل الحيين
او مثل احد الحيين ربيعة ومضر فقال رجل يا رسول
الله وما ربيعة ومضر قال انما اقول ما اقول بقوله
اقول الثاني بضم الهمزة وفتح القاف والواو المشددة اي
ما يقوله الله تعالى لي من الوحي وقد احتج بهذه الاية من لم
ير الاجتهاد للنبي صلى الله عليه وسلم واجيب عنه بانه

اذا

اذا الوحي اليه ان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا
قال التفتازاني وفيه نظر لان ذلك بالوحي لا الوحي اي
يكون ما يستند الى الاجتهاد بسبب الوحي لا نفس الوحي
قال صاحب الكشف هذا غير قادح لانه بمنزلة ان
يقول الله تبارك وتعالى لنبيه متى ما ظننت كذا فهو
حكمي ورد بان الوحي سواء للكلام الخفي الذي يدرك بسرعة
ولا يندرج الحكم الاجتهادي بما ذكره تحته ولعل الاولى
ان يندرج ما يثبت بالوحي فيه بعموم المجاز ونظر فيه
بان وصف الوحي بقوله يوحى لدفع احتمال المجاز وايضا
فيا باه قوله علمه شديد القوى لان ما يستند الى الاجتهاد
ليس من تعليمه فلتامل وقد منع الاجتهاد له صلى الله
عليه وسلم مطلقا وجوزه قوم في الحروب والاراء دون
الاحكام وتوقف فيه كثيرون والصحيح جوازه ووقوعه
وهو قول الشافعي وابي يوسف وقد يتمسك المانع
من ذلك بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وتمسك
المجوز له بقوله لتحكم بين الناس بما اراك الله وهو
يحتمل لان يراد به ان اراه بالوحي ومن ادلة الوقوع
قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في
الارض عفا الله عنك لم اذنت لهم عوتب على استبقاء اسرى
بدر بالفداء وعلى الاذن لمن ظهر نفاقهم في التخلف عن غزوة
تبوك ولا يكون العتاب فيما صدر عن وحي فيكون عن
اجتهاد ذكره النقي السبكي في تفسيره ومن اقوى ادلة
القائلين بالوقوع بعضه في غير الحروب قول النبي صلى الله

حد وحي

هل الاجتهاد جائز عليه عليه السلام

عليه وسلم الا الاذخر عقب ما قيل له الا الاذخر ونحو
ذلك وليس فيها الا احتمال ان يكون اوحي اليه في تلك
اللحظة قوله تعالى علمه شديد القوى اخبر تعالى
عن وصف من علمه الوحي بما يعلم انه مضاد لاوصاف الشيطان
مثل الضلالة والغواية وعلمه صفة للوحي اي علمه اياه
فالها عائدة الى صاحبكم وهو النبي صلى الله عليه وسلم وهو
الظاهر ويكون المفعول الثاني محذوفا اي علم شديد القوى
صاحبكم النبي الوحي اي الموحى ويجوز ان تكون للوحي
شديد القوى صاحبكم للوحي فيكون المفعول الاول محذوفا
اي علم النبي الوحي شديد القوى صاحبكم النبي وشديد القوى
هو جبريل اي قواه العلمية والعملية كلها شديدة وفي
ذلك مدح المعلم وهو مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل لما كان
يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم فضيلة ظاهرة وفيه رد
عليهم حيث قالوا اساطير الاولين لم يعلمه احد نقل بل
علمه شديد القوى وفيه الوثوق بقول جبريل عليه السلام
لوصفه بذلك وهو شدة القوى وهي تشمل العلمية والعملية
وذلك ما يزيد العلم وثوقا وقوة وشديد القوى من اضافة
الصفة المشبهة الى فاعلها اي ملك شديد قواه والاضافة
غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو
جبريل على قول ابن عباس واكثر المفسرين وقال الحسن
هو الله تعالى والشديد البين الشدة والقوى جمع قوة
وقد روى ابن عساكر عن ميسرة بن فرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما احسن ما اثنى عليك

ربك

ربك ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فما كانت
قوتك وما كانت امانتك قال اما قوتي فاني بعثت الى
مداين لوط وهي اربع مداين وفي كل مدينة اربع مائة الف
مقاتل سوى الذراري فحملتهم من الارض السفلى حتى سمع اهل
السما اصوات الدجاج ونباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن
واما امانتي فلم اومر بشيء فعدوته الى غيره وقال محمد
ابن السايب من قوة جبريل انه اقتلع مداين قوم لوط من
الما الاسود فحملها على جناحه حتى رفعها الى السما حتى اسمع
اهل السما نباح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها ومن قوته
ايضا انه بصر ابليس يكلم عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم
على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة القاه
باقصى جبل بالهند ومن قوته صيحته بثمود في عددهم
وكثرتهم فاصبحوا جاثمين خامدين ومن قوته هبوطه من
السما على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وصعوده اليها في
اسرع من طرفة عين قوله تعالى ذو مرة اي قوة كما رواه
الفريابي عن مجاهد ويويده قوله صلى الله عليه وسلم لا تحل
الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي رواه احمد وغيره وقيل
ذو جزالة في الراي وكمال في العقل وقال ابن عباس
ذو منظر حسن رواه ابن جرير وقيل غير ذلك ولا تنافي
بين الاقوال لانه متصف بها صلى الله عليه وسلم قال الفرا
واصل المرة الفتل تقول فتل الحبل يمره اي يحكم شديد الفتل
وقد امررته ادرت بعضه الى بعض في الفتل فان قيل على
القول بتفسير المرة بالقوة قد تقدم كونه شديد القوى فكيف

وعليه قول
ترى الرجل النحيف فتزدريه
وحشو ثيابه جلد مزير
اي قوي

يكون قواه شديدة وله قوة واجيب بان افراد مرة بالذكر
ربما يكون لبيان ان قواه المشهورة شديدة وله قوة اخرى
خصه الله تعالى بها على انا نقول المراد ذو شدة وهي غير
القوة وتعد من علمه من قواه شديدة وفي ذاته ايضا شدة
فان الانسان ربما يكون كثير القوة صغير الجثة او يقال انه تعالى
اراد بقوله شديد القوى اي قوة العلم وبقوله ذو مرة اي شدة
في الجسم فقدم العلمية على الجسمية كما قال تعالى وزاده
بسطة في العلم والجسم قوله تعالى فاستوى وهو بالافق
الاعلى الفا سببية فان التشكل له بشكله الذي فطر عليه
مسبب على شدة قوته وقدرته على الخوارق او عاطفة على علمه
اي علمه على غير صورته الاصلية ثم استوى على صورته الاصلية
وهذا بناء على ان الضميرين لجبريل وهو قول الجمهور يعني
استقام جبريل على صورته الحقيقية اي ظهر في صورته التي
خلقه الله عليها لانه كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة
الادميين كما ياتي الانبيا فسأله النبي صلى الله عليه وسلم
ان يريه نفسه في الصورة التي خلقه الله عليها فاراه نفسه
مرتين مرة في الارض ومرة في السما فاما في الارض ففي
الافق الاعلى وكان النبي صلى الله عليه وسلم بحرا فطلع
له جبريل من المشرق فسد الارض الى المغرب فخر
النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل اليه في صورة
الادميين وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه
فلما افاق النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما ظننت
ان الله تعالى خلق احدا على مثل هذه الصورة فقال يا محمد

انا

انا نشرت جناحين من اجنحتي وان لي ستماية جناح سعة
كل جناح ما بين المشرق والمغرب فقال ان هذا لعظيم
فقال وما انا في جنب ما خلق الله تعالى الا يسير ولقد
خلق الله تعالى اسرافيل له ستماية جناح كل جناح قدر جميع
اجنحتي وانه ليتضاءل بالضاد المعجمة والهمزة احيانا
من مخافة الله تعالى حتى يكون قدر الوصع بفتح الواو
والصاد وبالعين المهملتين يعني العصفور الصغير
ويدل على ذلك ايضا قوله تعالى ولقد راه بالافق الاعلى
المبين وهذه الروية لجبريل لم تكن ليلة الاسرا بل قبلها
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الارض واول البعثة
بعد فترة الوحي كما قاله ابن كثير واما في السما فعند
سدرة المنتهى ليلة الاسرا كما سياتي في قوله تعالى ولقد
راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى ولم ير جبريل عليه
السلام احد من الانبيا على تلك الصورة الا نبينا صلى
الله عليه وسلم تلك المرتين وقيل استوى بمعنى استولى
بقوته على ما جعل له من الامر وهو مسند اما لجبريل كما
تقدم وبالافق خبره والجملة حال من فاعل استوى او انها
جملة مستأنفة اخبر الله تعالى بذلك والافق بضمتين
او بضمة فسكون مثل عسر وعسر الناحية من
الارض ومن السما والجمع افاق والمراد به مطلع الشمس
كما قاله مجاهد ووصف الافق بالاعلى قال الواحدي
ليس المراد به الاعلى في السما وانما المراد جانب المشرق
وهو فوق جانب المغرب فيما علا منه في صعيد الارض

لا في الهوا وقيل الضميران في استوى وهو لله تعالى
وهو قول الحسن على معنى العظمة والقدرة والسلطان
قوله تعالى ثم دنى فتدلى الدنو هو القرب اما حسا واما
معنى والتدلي هو الامتداد من علو الى اسفل هذا اصله ثم
استعمل في القرب من العلو يكون ايضا حسا او معنى فالقرب
المستفاد من التدلي اخص من القرب المستفاد من الدنو
وبهذا يحسن عطفه عليه وتقديم الدنو لتقدم الاعم على
الاخص وهذا اولى من قول من قال ان هذا من التقديم
والتاخير وان المعنى ثم تدلى من الافق فدنا لان الاصل
عدم ذلك واولى من قول من قال ان معنى دنا فتدلى واحد
لان التاكيد اولى من التاسيس وقيل ان دنا بمعنى قصد
القرب من النبي صلى الله عليه وسلم وتحرك عن المكان
الذي كان فيه فتدلى فنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
فتدلى اي فتدلل من الدلال فيكون الياء مبدلة من اللام
قال الجوهري قوله تعالى فتدلى اي تدلل كقوله ثم ذهب
الى اهله يتمطى اي يتمطط والضمير المسند اليه دنا فتدلى
عائد الى جبريل كما قاله الجمهور اي دنا جبريل من النبي صلى
الله عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض
فتدلى على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما راى من عظمة جبريل ما راى وما له ذلك رده
الله تعالى الى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب
من النبي صلى الله عليه وسلم وقال اخرون الضمير عائد الى
الرب اي دنا الرب سبحانه وتعالى من محمد صلى الله عليه وسلم
فتدلى

ثم دنا

فتدلى ويكون على سبيل المجاز لان دنو الله من العبد هو دنو
العبد من الله تعالى بالرتبة والمكانة والمنزلة والاجابة
والمعونة والعطا والمنة لا بالمكان والمسافة والمحاذاة
وهذا القول يحكى عن ابن عباس وانس ولم ينقل احد ان المراد
الدنو من الله حسا كما قد يتوهمه من يقول بالجهة لما
ذكرناه من تعظيم المنزلة وتشريف الرتبة ولشراق
انوار المعرفة وكشف سبحات اسرار الغيب والقدرة
وبسط الانس والاكرام قال ابن عطية والصحيح عندي
ان جميع ما في هذه الايات هو مع جبريل بدليل قوله ولقد
راه نزلة اخرى فان ذلك يقتضي نزلة متقدمة وما
روي قط ان محمدا راى ربه قبل ليلة الاسرا انتهى
قال شيخنا الامام التقي السبكي ليس في قوله نزلة اخرى
صراحة بانه قبل ليلة الاسرا فقد يكون راه فيها مرتين
قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى القاب
يطلق على ما بين المقبض والسية من القوس فالسية
هي المنعطفة التي يوضع فيها الوتر ولكل قوس قابان وقيل
القاب حيث الوتر من القوس قاله مجاهد ويطلق القاب
ايضا في اللغة على القدر والقوس هي التي يرمى بها وقيل
المراد بها الذراع لانه يقاس بها الشيء قال بعضهم
وليس المراد في الاية القاب وانما المراد القدر والقوس الذراع
ويرجح هذا القول ما اخرجه ابن مردويه باسناد صحيح عن ابن
عباس قال القاب القدر والقوسين الذراعين ويؤيده انه لو
كان المراد به القوس التي يرمى بها لم يمثل بذلك ليحتاج الى

الثنية فكان بينهما قاب رمح او نحو ذلك وقد قيل ان المراد
القوس ولكنه جاء في الاية على القلب والمراد فكان قابي
قوس فقلبه لان لكل قوس قابين بناء على انه ما بين المقبض
الى السية وعلى كل ففي الاية مضافات محذوفات ينظر
لتقديرها اي فكان مقدار مسافة قربه منه مثل مقدار
مسافة قاب قوسين **فان قلت** من هو المحدث
عنه في الاية الذي شبه قربه بقاب قوسين **قلت**
هو جبريل كما نقله القاضي عن الجمهور وقال الحافظ
عماد الدين بن كثير انه هو الصحيح في التفسير كما دل عليه
كلام الاكابر الصحابة **وقد روى** الشعبي عن مسروق
قال قلت لعائشة رضي الله عنها ثم دنا فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى قالت ذاك جبريل **قال** ابن القيم لان
جبريل هو الموصوف بما ذكر من اول السورة الى قوله
ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى هكذا فسره
النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لعائشة
قالت عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال ذاك جبريل
لم اره في صورته التي خلق عليها الا مرتين رواه مسلم
ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك ثم ساق وجوها
سبعة دالة على ذلك واما ما وقع في البخاري من
رواية شريك عن انس قال ودنا الجبار رب العزة
فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فقد تكلم الناس
فيه وقالوا ان شريكا خلط فيه وذكر فيه امورا منكرة

لكن

لكن قال ابن القيم انما الدنو والتدلي الذي في حديث
شريك غير هذا وجزم ابن كثير بان الدنو والتدلي
في حديث شريك غير الذي في الاية **وقال الامام**
الرازي في تفسيره فكان قاب قوسين اي فكان بين
جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين او
اقل وهذا على استعمال العرب وعادتهم فان الاميرين
منهم او الكبيرين اذا اصطلحا وتعاقدا خرجا
بقوسيهما جعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس
صاحبه ومن دونهما من الرعية يكون كفه بكف
صاحبه فهذان باعهما لذلك تسمى مبايعة وقوله
او ادنى **قال** ابن القيم وليست للشك بل لتحقيق
قدر المسافة وانها لا تزيد على قوسين البتة كما قال
تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون تحقيقا
لهذا العدد وانهم لا ينقصون عن مائة الف رجلا واحدا
ونظيره قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي
كالحجارة او اشد قسوة اي لا تنقص قسوتها عن
قسوة الحجارة بل ان لم تزد على قسوة الحجارة لم تكن
دونها وهذا المعنى احسن والطف وادق من قول
من جعلها في هذا الموضع بمعنى بل ومن قول من
جعلها للشك بالنسبة الى الرائي ومن قول من جعلها
بمعنى الواو فتأمله وادنى افعل تفضيل والمفضل
عليه محذوف اي او ادنى من قاب قوسين اي
اقرب والمعنى فيما تقدرون انتم والله تعالى

اعلم بالاشيا على ما هي عليه لا تردد عنده ولكنه خاطبنا
على ما جرت عادة المخاطبة فيما بيننا اذا قدر رينا
الشي نقول هذا قدر رمحين او انقص فان قلت
اذا كان القرب المذكور بين جبريل وبين النبي
صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه الجمهور فاي فايدة
في ذلك وقد علمنا ان جبريل كان ياتي النبي صلى الله
عليه وسلم وفي بعض المرات قد اسند ركبته الى
ركبته وهو اقرب من قدر قوسين او قوس
واحد وان اريد قرب المكانة منهم فمذهب اهل
السنة ان النبي صلى الله عليه وسلم افضل من جبريل
فكيف يذكر في سياق تشريفه ذكر مكانته منه
قلت قالوا ان جبريل مع عظمة اجزايه
وكثرتها حتى سد الافق بجناحه دنا من النبي صلى الله
عليه وسلم في غير تلك الصورة حتى قرب منه فتبدا ما راه
على الصورة الاولى وفي ذلك بيان قدرة الله تعالى
ومعنى الاية ذلك والله اعلم بمراده اما اذا كان
القرب فيما بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الله كما ذكر
في حمل الاية على الكناية ففيه فايدة عظيمة وبيان لشرف
النبي صلى الله عليه وسلم واختصاصه وقد سئل ابو العباس
ابن عطا عن هذه الاية فقال كيف اصف لكم مقاما انقطع
عنه جبريل وميكاييل واسرافيل ولم يكن الا محمد وربه
عز وجل قوله تعالى **فاوحى الى عبده ما اوحى**
الضمير في اوحى الاول لجبريل على نسق ما تقدم وفي

عبده

بلغ مقابلة

عبده لله والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم وفيه اضمار
قبل الذكر لانه لم يتقدم ذكر الله لكنه معلوم
كقوله ما ترك على ظهرها اي الارض من دابة فانه
لم يجر ذكر الارض لكنه معلوم والضمير في اوحى
الثاني يجوز ان يكون لجبريل كما هو الموافق للنسق
اي اوحى جبريل لعبد الله محمد ما اوحى جبريل ففيه
تفخيم وتعظيم للوحي ويجوز ان يكون لله اي اوحى
جبريل لعبد الله محمد ما اوحى الله اليه ويجوز ان يكون
الضمير في اوحى الاول لله والمراد بعبده هو محمد
صلى الله عليه وسلم اي اوحى الله الى عبده محمد صلى
الله عليه وسلم ويجوز ان يكون المراد بعبده جبريل
عليه السلام اي اوحى الله الى عبده جبريل والضمير
في اوحى الثاني يجوز ان يكون لله اي اوحى الله الى عبده
محمد ما اوحى الله اليه ففيه تفخيم وتعظيم ايضا
للوحي ويجوز ان يكون لجبريل اي اوحى الله لعبده
محمد ما اوحى جبريل اليه فيكون ايحا الله اليه بواسطة
جبريل وعلى ان المراد بعبده جبريل والضمير في اوحى
الثاني لله فالمعنى اوحى الله لعبده جبريل ما اوحى الله اليه
ففيه تفخيم ايضا وعلى ان المراد بعبده جبريل والضمير
في اوحى الثاني له فالمعنى فاوحى الله لعبده جبريل ما اوحى
جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم او ما اوحى جبريل الى كل
رسول لانه امين الله على وحيه وما في ما اوحى يحتمل ان
تكون مصدرية اعني المراد بها المصدر فيكون المعنى تفخيم

الوحي الذي اوحاه ويحتمل ان تكون موصولة اي
الذي اوحاه اليه من الاحكام وغيرها وقد
اختلف في المراد بما اوحى على وجوه فقيل الصلاة
وقيل ان احدا من الانبيا لا يدخل الجنة قبلك ولا
تدخل امة قبل امتك وقيل ان ما للعموم والمراد
كل ما جا به جبريل وسئل ابو الحسين النوري عنه
فقال اوحى اليه سرا بسر من سره الى سره وفي ذلك

يقول القائل

• بين المحبين سر ليس يفشيه • قول ولا قلم للخلق يحكيه •
• سر يمازجه انس يقابله • نور تحير في بحر من التيه •

قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى اخبر تعالى
عن تصديق فؤاده لما راته عيناه بهذه الاية وقرا
الجمهور بتخفيف الذال من كذب وهو مستعمل وما
راى مفعوله وما موصولة والعايد محذوف اي الذي
راه وفاعل راى ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم
والفؤاد هو القلب والمراد فؤاد محمد صلى الله عليه
وسلم والمعنى ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما راه
محمد صلى الله عليه وسلم بعينه وان القلب صدق العين
وليس كمن راى شيا على خلاف ما هو به فكذب فؤاده
بصره وقرا هشام وابو جعفر بتشديد الذال من
كذب اي ما كذب الفؤاد ما راه البصر ولم يقل انما راه
البصر خيال لا حقيقة له بل صدقه على ما راه هذا بناء على ان
الرائي البصر واما على القول بان الرائي الفؤاد فالمعنى ما كذب

الفؤاد

الفؤاد ما راه الفؤاد اي لم يقل انه جن او شيطان
بل تيقن ان ما راه بفؤاده صدق صحيح وال في الفؤاد
قال الرازي لتعريف ما علم حاله لسبق ذكر محمد
صلى الله عليه وسلم في قوله ما ضل صاحبكم وفي قوله
فاوحى الى عبده وغير ذلك وقيل ال للجنس اي جنس
الفؤاد ويكون المعنى ما كذب الفؤاد ما راى محمد
صلى الله عليه وسلم اي القلوب تشهد بصحة ما راه
محمد صلى الله عليه وسلم واختلفوا في المرئي ما هو
فقيل جبريل راه وله ستماية جناح كما ثبت عن ابن
مسعود في الصحيح في تفسير هذه الاية وفي رواية
عنه راى جبريل عليه حلتا رفرف اخضر قد ملا
ما بين السما والارض كما رواه النسائي والترمذي
وصححها وقيل المرئي الايات العجيبة وقيل المرئي
هو الله تعالى وهو قول ابن عباس وانس وابي امامة
وغيرهم من الصحابة والتابعين ثم منهم من يقول راه
بعينه وهو المشهور عن ابن عباس ومنهم من يقول
راه بقلبه وهو مروي عن ابن عباس ايضا وعن غيره وسياتي
الكلام على رؤية الله تعالى وما قيل فيها في الوجه التاسع والعشرين
من فوائد القصة قوله تعالى افتمارونه على ما يرى
انكر تعالى عليهم تكذيبهم وجحدهم له على ما يراه كما ينكر على
الجاهل تكذيبه للعالم ومماراته له على ما علمه فقال مستفهما
بهمزة الاستفهام الانكاري افتمارونه اي افتجادلونه
من المرا وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى

الناقة مريا اذا مسحت ضرعها لتدر وعبر بالمفاعلة
في هذه القراءة اشارة الى اجتهاد كل في تشكيكه لان كلا
من المتجادلين يمري ما عند صاحبه اي يستخرجه
من مري الشي استخرجه ومري الفرس اذا استخرج
ما عنده من الجري بسوط او غيره ولما كان من حقه ان يتعدي
بفي كقولك جادلته في كذا وانما ضمن معنى الغلبة
فعدي نعديتها بعلى وقرا حمزة والكسائي وخلف
ويعقوب افتمرونه بفتح التا وسكون الميم من
غير الف بعدها اي افتجحدونه من مراه حقه اذا
جحده واختار هذه القراءة ابو عبيدة لان المشركين
كان شانهم الجحد وهو اكثر من المماراة واختار
غيره القراءة الاولى لان الجحود كان منهم في هذا
وفي غيره والذي اختص به الاسرا المجادلة لانهم
قالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا التي
في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به وايضا فقد
يجحد الشي من لا يجادل فيه ووضع الجدال ان لا يكون
الا من جاحد وان اتفق من غير جاحد فهو مقصود
بصورة الجاحد فكان الجدال اخص من الجحود وجعل
الزمخشري وتبعه البيضاوي معنى افتمرونه
افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته قال السبكي وهو
معنى جيد وورود مري بمعنى جحد في كلام العرب
لا يدفع هذا الثبوت المنقول عنه والتعدية بعلى على معنى الغلبة
اوضح واما على معنى الجحد فلتضمنه معنى الغلبة فان المماري

والجاحد

والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم وقال
على ما يرى بصيغة المضارع والرؤية قد مضت فاما
ان يكون وضع المضارع موضع الماضي كقوله تعالى
واتبعوا ما تتلوا الشياطين في احد تاويليه
ومذهب سيبويه جواز وضع المضارع موضع الماضي
واما للاشارة الى انه ما انتفى كما انه لم يبهم ولم يلتبس
الامر عليه فالرؤية وان مضت فهي عتيدة عنده
لتحققه بها وتيقنه اياها فكانه الان ينظر والمماراة
في الشي الحاضر المعاين اخس واشد جهلا قوله تعالى
ولقد راه نزلة اخرى اخبر تعالى عن رؤيته
لجبريل مرة بعد اخرى فالمرة الاولى كانت دون السما
بالافق الاعلى والثانية هذه كانت فوق السما عند
سدرة المنتهى قال الحافظ ابن كثير هذه هي المرة
الثانية التي راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها جبريل
على صورته التي خلقه الله تعالى عليها وكانت ليلة الاسرا
وقد روى الامام احمد بسند حسن كما قال الحافظ المذكور
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال راى رسول الله صلى الله عليه
وسلم جبريل على سدرة المنتهى له ستمائة جناح كل جناح
منها قد سد الافق تتساقط من اجنحته التهاويل من
الدر والياقوت ما الله به عليم واصل الحديث رواه
مسلم انتهى واما المرة الاولى فكانت بحرا وايل
البعثة كما تقدم والواو في ولقد عاطفة وجوز بعضهم
ان تكون للحال ورد بان اللام تنافي ذلك لانها جواب

القسم والقسم لا يكون حالا لان الحال خبر والقسم انشا
والضمير المرفوع المستتر في راه للنبي صلى الله عليه وسلم
واما البارز المنصوب ففيه خلاف حسبما تقدم
فقال ابن مسعود وعايشة ومجاهد هو عايد على جبريل
وقال ابن عباس وكعب الاحبار هو عايد على الله تعالى
وقوله نزلة اخرى اي مرة اخرى فعلة من النزول
اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها على الظرف اشعارا
بان الروية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو
وحيث كان الضمير عايدا على الله فالكلام في الدنو والنزول
من انه على سبيل المجاز والمراد القرب المعنوي من
الله تعالى مع تنزيهه تعالى عن الجهات ولا يمتنع مع
ذلك ان تتكرر رويته له في تلك الليلة وقيل ان
نزلة منصوبة نصب المصدر الواقع موقع الحال والتقدير
ولقد راه نازلا نزلة اخرى والى هذا ذهب الحوفي
وابن عطية والاول اقتصر عليه الزمخشري وجلد
به القاضي وحكى الثاني بقيل وقال الشهاب الحلبي
المعروف بالسمين وهذا يعني الاول ليس مذهب البصريين
وانما هو مذهب الفرا ونقله عنه مكي وقيل ان نزلة
منصوبة على المصدر المؤكد وقدره ابو البقاء مرة اخرى
او روية اخرى قال الشهاب الحلبي المذكور وفي
تاويله نزلة بروية نظر وقوله اخرى يدل على سبق
روية قبلها وقد تقدم ما يدل على ذلك والمراد بالاتيان
في هذه الاية وهو ولقد راه الخ بالفعل المصدر باللام

التسمية

التسمية وكلمة قد المتضمنة للتحقيق نفي الريبة عن المرة
الاخيرة وقوله تعالى عند سدرة المنتهى
عند ظرف مكان لراه وظرف الفعل قد يكون فيه الفاعل
او المفعول او كلاهما ولا اشكال ان فيه هنا النبي
صلى الله عليه وسلم وعند من يقول المرئي جبريل
يصح ان يكون ظرفا له او لهما معا والسدرة شجر النبق
راها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا وراى
عندها جبريل في صورته الاصلية وهي في السماء
السابعة كما في حديث انس ووقع في حديث ابن مسعود
انها في السادسة وحديث انس هو قول الاكثر وهو
الذي يقتضيه وصفها بكونها التي ينتهي اليها علم كل نبي
مرسل وكل ملك مقرب وما خلفها غيب لا يعلمه
الا الله او من اعلمه ويترجح حديث انس بانه مرفوع
وحديث ابن مسعود بانه موقوف وقد يجمع بينهما بان
اصلها في السادسة واغصانها وفروعها في السابعة
وليس في السادسة منها الا اصل ساقها قال
مقاتل وهي عن يمين العرش قال الخليل قد
اظلت السموات والجنة قال بعضهم وهي طوبى
التي ذكرها الله في سورة الرعد وهي شجرة يسير
الراكب في ظلها مائة عام وفي الكشاف وفي رواية
القصة سبعين عاما لا يقطعها ويستظل في الغصن
منها مائة الف راكب وورقها كاذان الفيلة ونبقها
كقلال هجر يخرج من اصلها اربعة انهار نهران ظاهران

النيل والفرات وسيحان بالمنابر في الجنة فيها فراش من
ذهب لو وضعت ورقة منها في الارض لا ضاءت
لاهل الارض وانما قيل لها سدرة المنتهى لان علم
الملائكة ينتهي عندها لا يجاوزها ولم يجاوزها احد
الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانه ينتهي
اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها
من امر الله لا يتعداها وقيل ينتهي اليها علم الخلائق
وعلم كل عالم لا يعلم ما وراءها صعدا الى الله تعالى وقيل
لانه ينتهي اليها من مات على سنة النبي صلى الله عليه وسلم
وهم المومنون حقا وقيل غير ذلك والمنتهى اسم
مكان بمعنى موضع الانتها او مصدر ميمي بمعنى الانتها
لانها في منتهى الجنة واخرها واضافة السدرة الى
المنتهى اما من اضافة الشي لمكانه كقولك اشجار
بلدة كذا فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك ولا روح من
الارواح او من اضافة المحل الى الحال فيه كقولك كتاب الفقه
وعلى هذا فالتقدير سدرة عندها او فيها منتهى العلوم
او المراد بالمنتهى هو الله تعالى وحينئذ يكون التقدير المنتهى
اليه قال الله تعالى وان الى ربك المنتهى فاضافة السدرة
الى المنتهى من اضافة الملك الى مالكه فالاضافة اليه
كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم وسياتي في الوجه
الخامس والعشرين من فوائد القصة الكلام على السدرة
ايضا وعلى ما يتعلق بها قوله تعالى عندها جنة
المأوى اي عند سدرة المنتهى جنة المأوى ومعه

الجملة

الجملة تحتمل الحال والاستيناف والحال اظهر كما قاله
السبكي وهي تعريف لموضع جنة الماوى وانها عند
سدرة المنتهى وهي عن يمين العرش كما تقدم وقال
ابن عباس واكثر المفسرين جنة الماوى التي تاوي
اليها ارواح الشهدا وقيل اوى اليها ادم عليه السلام
الى ان اخرج منها وقيل ان جبريل وميكائيل عليهما
السلام ياويان اليها وقيل ان ارواح المومنين
كلهم في جنة الماوى وهي تحت العرش فيتنعمون
بنعيمها وقالت عايشة وزر بن حبيش جنة من
الجنات ومال اليه ابن عطية والجنات كلها ياوي اليها
المتقون اراد الله ان يعظم مكان سدرة المنتهى
بان الجنة عندها وفي ذلك تعظيم لمكانها وتشريف
له وقرا علي بن ابي طالب وابو الدردا وجماعة من
الصحابة والتابعين جنه الماوى بالها في جنه
فعلا ماضيا والضمير المفعول يعود للنبي صلى الله
عليه وسلم والماوى فاعل اي ضمه وستره ايوا الله
وجميل صنعه وقد انكرت عايشة رضي الله عنها وجماعة
معها هذه القراة وقالوا اجن الله من قراها واذا
ثبتت قراة عن هولا فلا سبيل الى ردها ولكن المستعمل
انما هو اجنه رباعيا فان استعمل ثلاثيا تعدى
بعلى كقوله تعالى فلما جن عليه الليل قال ابو البقا هو
شاذ والمستعمل اجنه قوله تعالى اذ يغشى السدرة
ما يغشى قال ابن القيم لما ذكر الله سبحانه رويته محل

لجبريل صلى الله عليهما وسلم عند سدرة المنتهى استطرد منها
وذكر ان جنة المأوى عندها وانها يغشاها من امره
وخلقه ما يغشى وهذا من احسن الاستطراد وهو اسلوب
لطيف جدا في القرآن واذ ظرف زمان لرآه نزلة اخرى ويغشى
السدرة اي يسترها ومنه الغواشي او من معنى الاتيان يقال
فلان يغشانا في كل وقت اي يأتينا ما يغشى في التعبير بما
تعظيم وتكثير لما يغشاها وقد علم بهذه العبارة ان
ما يغشاها من الدال على عظمة الله وجلاله ما لا يكتنهه
النعت ولا يحيط به الوصف وقد جاء بيانه في حديث
مسلم وغيره كما رواه ابن مسعود وابن عباس مرفوعا
الى النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت السدرة يغشاها
فراش من ذهب ورايت على كل ورقة ملكا يسبح الله
وقيل ملائكة يغشونها كانهم طيور يرتقون اليها
متشوقين متبركين زائرين كما يزور الناس
الكعبة واخرجه عبد بن حميد عن سلمة بن وهرام
اذ يغشى السدرة ما يغشى قال استاذنت الملائكة
الرب تبارك وتعالى ان ينظروا الى النبي صلى الله عليه
وسلم فاذن لهم فغشيت الملائكة السدرة لينظروا
الى النبي صلى الله عليه وسلم وروي مرفوعا يغشاها
نور من الله عز وجل حتى ما يستطيع احد ينظر اليها وقيل
لما غشيها ما غشيها تحولت ياقوتا وزمردا وفي
الحديث مرفوعا يغشاها الوان لا ادري ما هي وسكت عن
ذلك ولا يقال ان هذا تكلف لان الله ابهم ما غشيها لان ما ثبت عن

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم لا كلام فيه وما ثبت عن الصحابة
يكون توقيفا لان مثله لا يقال بالراي وانما
اختيرت السدرة لهذا الامر دون سائر الاشجار
لانها تختص بثلاثة اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ
ورائحة ذكية فشابهت الايمان الذي جمع قولا وعملا
ونية فظلها كالعمل وطعمها كالنية ورائحتها كالقول
واما ما جاء من الاحاديث في النهي عن قطع السدر
من قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابو داود
وغيره من قطع سدرة صوب الله راسه في النار
فمحمول على سدر الحرم كما زاده الطبراني في روايته
في قوله يعني من سدر الحرم او على من قطعه من
فلاة يستظل به ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما
بغير حق يكون له فيه على ما قاله ابو داود وقد
روى البيهقي ان ابا ثور سال الشافعي رضي الله عنه
عن قطع السدر فقال لا باس به وقد روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اغسلنها بماء وسدر وقد احتج
المزني بما احتج به الشافعي من اجازة النبي صلى الله عليه
وسلم ان يغسل الميت بالسدر ولو كان حراما لم يجز
الانتفاع به والورق من السدر كالغصن وقد
سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حرم قطعه
من شجر الحرم بين ورقه وغيره فلما لم يمنع من ورق
السدر دل على جواز قطع السدر قوله تعالى
ما زاغ البصر وما طغى وصف تعالى وتقدس في هذه

الاية ادب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام اذ لم
ونزعه ما يعرض للرائي الذي لا ادب عنده له بين يدي
الملك اذا ورد على مقام لم يشرف فيه من التفات يمينا
وشمالا ومجاوزة بصره الى ما بين يديه بقوله ما زاغ
البصر اي ما مال والزيغ الميل البصر اي بصر النبي صلى
الله عليه وسلم وما طغى اي بصره اي ما تجاوز امتثالا لما
الحديث بنهيه قال ابن عباس ما زاغ البصر يمينا ولا
شمالا ولا جاوز ما امر به وكان معنى الاية وصف
ادب النبي صلى الله عليه وسلم فهي متضمنة ايضا الوصف
قوة نظره وثبته وقلبه ولتحقيق الامر والنهي و
التوجه عنه لم يلتفت جانبا يمينا وشمالا ولا قصر
عن كيف الامر وحقيقته ولا جاوزه ولا مال بصره
الى شيء غير المقصود مما رآه من الايات واستقبله
من العجائب والغرائب ما رآه اثباتا مستيقنا صحيحا
وذلك غاية القوة والادب او ما عدله عن رؤية
العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما جاوز
ما امر برؤيته بل قام مقام العبد الذي اوجب
ادبه الاطراق واقبالا على ما اريه دون التفات
الى غيره ودون تطلعه الى ما لم يره مع ما في ذلك
من ثبات الجاش وسكون القلب وطمأنينته وهذا
غاية الكمال وقد نزه الله في هذه السورة علمه عن الضلال
وقصده وعمله عن الغي ونطقه عن الهوى وفؤاده عن
تكذيب بصره وبصره عن الزيغ والطغيان وهكذا

يكون

يكون المدح هكذا والا فلا قوله تعالى لقد
رأى من آيات ربه الكبرى فقد اكد تعالى ما ذكره
في هذه الاية بالقسم تعالى لقد اي والله لقد رأى
اي ابصر من آيات ربه وعجائبه الملكية والملكوتية
ليلة المعراج آيات ربه الكبرى الدالة على قدرته
وعظمته والآيات جمع آية وهي العلامة ووصفها
بالكبرى لتمييزها عن غيرها ولبيان نوعها وآيات
الله لا تحصى ولعظم الآيات الكبرى فلا يحاط بها والشيء
اذا لم يحط به فلا يدرك تعيينه فالكبرى يجوز ان يكون
مفعول رأى ومن آيات ربه حال متقدمة على ذيها
وكلمة من للبيان لانه المناسب لمرام المقام والتقدير
لقد رأى الآيات الكبرى من آيات ربه قال الشهاب الحلبي
وهذا هو الظاهر ويجوز ان يكون الكبرى على اعرابه
كونها مفعولا نعتا للمفرد والتقدير لقد رأى من آيات
ربه الآية التي هي كبراها وعظماها كجعل الاسرا وما
فيه من العجائب كالشيء الواحد ويجوز ان يكون الكبرى
نعتا لآيات ربه وهذا الجمع يجوز وصفه بوصف
المؤنثة الواحدة وحسنه هنا كونها فاصلة لتوافق
الفواصل ومن آيات ربه مفعول رأى ومن للتبعيض
والتقدير لقد رأى بعض آيات ربه الكبرى ويجوز
على كون الكبرى نعتا للآيات ان يكون المفعول
لرأى محذوفا والتقدير لقد رأى شيئا عظيما من آيات
ربه الكبرى ومشى على ذلك البيضاوي وابن بعضهم

ان المقام يقتضي التعظيم وقد ذكر تعظيم المرئي واختلفوا
في تعيين ما رآه من تلك الآية الكبرى فقيل جبريل في صورته
قال الامام والظاهر ان هذه الآيات غير تلك لان
جبريل وان كان عظيما لكن ورد في الاخبار ان لله ملائكة
اعظم منه والكبرى تأنيث الاكبر فكأنه تعالى قال رأى
من آيات ربه آيات هي اكبر الآيات وقيل المرئي
السدرة ويحتمل انه ما رآه حين رقي به الى السموات
وما فوقها من عجائب الملكوت وغير ذلك واما
قول القرطبي وقيل هو ما رآه تلك الليلة في مسراه
في عوده وبدئه وهذا احسن فانما يناسب قوله
في آية الاسرا لنريه من آياتنا قال الامام
ما ملخصه وهذه الآية تدل على ان النبي صلى الله عليه
وسلم لم ير الله ليلة المعراج وانما رأى آيات الله
تعالى وفيه خلاف ووجه الدلالة انه تعالى ختم
قصة المعراج ههنا برؤية الآيات وقال في اواخر
قصة الاسرا لنريه من آياتنا ولو كان رأى ربه
لكان ذلك اعظم ما يمكن فكانت الآية الرؤية وكان
اكبر شي هو الرؤية وقال ابن كثير في هاتين
الآيتين استدل من ذهب من اهل السنة الى الرؤية
تلك الليلة لم تقع لانه قال لقد رأى من آيات ربه
الكبرى ولو كان رأى ربه لاخبر بذلك ولقال ذلك للناس
انتهى قلت لا دلالة في عدم ذكر الرؤية في الآيتين
على عدم وقوعها لاحتمال انها وقعت وكتمت خوفا من الانكار

ومن

ومن ثم عارضتها الدلائل الدالة على عدم وقوعها
في هذه الآثار ويحتمل دخولها فيما رآه من الآيات
الكبرى بل هي اكبرها او دل عليها قوله تعالى ما كذب
الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة اخرى كما نقل عن
ابن عباس انه كان يثبت الرؤية ليلة الاسرا ويستشهد
بذلك وتابعه جماعة من السلف والخلف وقد
خالفه جماعة من الصحابة والتابعين وحيث
انتهى الكلام على ذكر بعض فوائد هذه الآيات الشريفة
فلنسق القصة على نسق واحد وان كانت مأخوذة من
احاديث متعددة ليكون ابهج للسامعين وانعش
لقلوب المؤمنين ونتكلم على بعض فوائدها ان شاء الله تعالى
فنقول بينا النبي صلى الله عليه وسلم عند البيت في الحجر
مضطجعا بين رجلين اذ اتاه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر
فاحتملوه حتى جاؤا به زمزم فاستلقوه على ظهره
فتولاه منهم جبريل وفي رواية فرج سقف بيتي
فنزل جبريل فشق من ثغرة نحره الى اسفل بطنه
ثم قال جبريل لميكائيل ائتني بطست من ماء زمزم كيما
اطهر قلبه واشرح صدره فاستخرج قلبه فغسله
ثلاث مرات ونزع ما كان فيه من اذى واختلف
اليه ميكائيل بثلاث طسات من ماء زمزم ثم
اتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها
في صدره وملأه حلما وعلما ويقينا واسلاما ثم
اطبقه ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة ثم اتى

بالبراق مسرجا ملجما وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار
ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه مضطرب
الأذنين إذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه وإذا هبط
ارتفعت يداه له جناحان في فخذه يحفز بهما رجليه
فاستصعب عليه فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال ألا
تستحيي يا براق فوالله ما ركبك خلق أكرم على الله منه
فاستحيى حتى ارفض عرقا وقر حتى ركبها وكانت
الأنبياء تركبها قبله وقال سعيد بن المسيب
وهي دابة إبراهيم التي كان يركب عليها للبيت الحرام
فانطلق به جبريل وهو عن يمينه وميكائيل عن يساره
وعند ابن سعد فكان الآخذ بركابه جبريل وبزمام البراق
ميكائيل فساروا حتى بلغوا أرضا ذات نخل فقال
له جبريل انزل فصل هنا ففعل ثم ركب فقال أتدري
أين صليت قال لا قال صليت بطيبة وإليها المهاجر
فانطلق البراق يهوي به يضع حافره حيث أدرك طرفه
فقال له جبريل انزل فصل ففعل ثم ركب فقال له
جبريل أتدري أين صليت قال لا قال صليت بمدين عند
شجرة موسى ثم ركب فانطلق البراق يهوي به ثم
قال له انزل فصل ففعل ثم ركب فقال أتدري أين صليت
قال لا قال صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى
ثم بلغ أرضا بدت له قصور فقال له جبريل انزل فصل
ففعل ثم ركب وانطلق البراق يهوي به فقال له
جبريل أتدري أين صليت قال لا قال صليت ببيت

لحم

لحم حيث ولد عيسى وبينما هو يسير على البراق إذ رأى عفريتا
من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رآه فقال له جبريل
ألا أعلمك كلمات تقولهن إذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقال جبريل قل أعوذ بوجه الله
الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من
شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض
ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار
إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن فانكب لفيه وانطفت شعلته
فساروا حتى أتوا على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا
عاد كما كان فقال يا جبريل ما هذا قال هؤلاء المجاهدون
في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما
أنفقوا من شيء فهو يخلفه ووجد ريحا طيبة فقال يا جبريل
ما هذه الرائحة قال هذه رائحة ماشطة بنت فرعون
وأولادها بينا هي تمشط بنت فرعون إذ سقط المشط فقالت
بسم الله تعس فرعون فقالت ابنة فرعون أولك رب غير أبي
قالت نعم قالت أفأخبر بذلك أبي قالت نعم فأخبرته فدعا بها
فقال ألك رب غيري قالت نعم ربي وربك الله وكان للمرأة ابنان
وزوج فأرسل إليهم فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما
فأبيا فقال إني قاتلكما فقالت إحسانا منك إلينا إن قتلتنا أن تجعلنا
في بيت فتدفننا جميعا قال ذلك لك بما لك علينا من الحق فأمر بقدر
من نحاس فأحميت ثم أمر بها لتلقى فيها هي وأولادها فألقوا
واحدا واحدا حتى بلغوا أصغر رضيع فيهم فقال يا أمه
قعي ولا تقاعسي فإنك على الحق فألقيت هي وولدها

قال في [illegible] من الأنبياء [illegible]
لمن [illegible] قيل المراد بها كلام [illegible]
الأخلاق وقيل أقضيتهم وقيل ها وعد
كما قال الله تعالى وتمت كلمة ربك
الحسنى على بني إسرائيل والمراد بها
قوله تعالى ونريد أن نمن على الذين
استضعفوا في الأرض والمراد بالتام
الكاملة وقيل إنما هو [illegible] وقيل إنه خير
وقيل المبارك وقيل النافع الشافي
تعني [illegible] ولا يرد ما فيه زيادة ولا
نقص ولا عيب قال الخطابي كان
أحمد يستدل بهذا الحديث على أن
كلام الله غير مخلوق ويحتج بأن النبي
صلى الله عليه وسلم لا يستعيذ بمخلوق

وتلك اربعة وهم صغار وهذا شاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى
ابن مريم واتى على قوم ترضخ رؤوسهم كلما رضخت عادت كما كانت
ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء
الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ثم اتى على قوم
على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح
الابل والغنم وياكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم
وحجارتها فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين
لا يؤدون صدقات اموالهم وما ظلمهم الله شيئا ثم اتى على قوم
بين ايديهم لحم نضيج في قدر ولحم اخر نيء خبيث فجعلوا
ياكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال
ما هذا يا جبريل فقال هذا الرجل من امتك تكون عنده
المراة الحلال الطيب فياتي امراة خبيثة فيبيت عندها
حتى يصبح والمراة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتاتي
رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح ثم اتى على خشبة على الطريق
لا يمر بها ثوب ولا شيء الا خرقته فقال ما هذا يا جبريل قال
هذا مثل اقوام من امتك يقعدون على الطريق فيقطعونه
وتلى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وراى رجلا
يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة فقال من هذا فقيل اكل الربا
ثم اتى على رجل قد جمع حزمة حطب لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها
فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من امتك تكون عنده
امانات الناس لا يقدر على ادائها وهو يريد ان يحمل عليها واتى على
قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت
عادت لا يفتر عنهم فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء الفتنة

يقولون

يقولون ما لا يفعلون ومر بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون
وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء
الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم واتى على
حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد ان يرجع
من حيث خرج ولا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل قال
هذا الرجل الذي يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا
يستطيع ان يردها وبينما هو يسير اذ دعاه داع عن شماله
يا محمد انظرني اسالك فلم يجبه فقال ما هذا يا جبريل
قال هذا داعي اليهود اما انك لو اجبته لتهودت امتك
وبينما هو يسير اذ دعاه داع عن شماله يا محمد انظرني
اسالك فلم يجبه فقال ما هذا يا جبريل قال هذا داعي
النصارى اما انك لو اجبته لتنصرت امتك وبينما هو يسير
اذا بامراة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها
الله فقالت يا محمد انظرني اسالك فلم يلتفت اليها فقال من هذه
يا جبريل قال تلك الدنيا اما انك لو اجبتها لاختارت امتك
الدنيا على الاخرة وبينما هو يسير فاذا هو بشيخ يدعوه متنحيا
عن الطريق يقول هلم يا محمد فقال جبريل بل سر يا محمد فقال
من هذا قال هذا عدو الله ابليس اراد ان تميل اليه وسار فاذا
هو بعجوز على جانب الطريق فقالت يا محمد انظرني اسالك
فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل قال انه لم يبق
من عمر الدنيا الا ما بقي من عمر العجوز وسار حتى اتى
مدينة بيت المقدس ودخل من بابها اليماني ثم نزل عن
البراق وربطه بباب المسجد بالحلقة التي تربط بها

الانبيا عليهم الصلاة والسلام وفي رواية ان جبريل اتى الصخرة
فوضع اصبعه فيها فخرقها وشد بها البراق ودخل المسجد من
باب فيه تميل الشمس والقمر ثم صلى هو وجبريل كل واحد ركعتين
فلم يلبث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير فعرف النبيين من
بين قائم وراكع وساجد ثم اذن موذن واقيمت الصلاة
فقاموا صفوفا ينتظرون من يومهم فاخذ جبريل بيده
فقدمه فصلى بهم ركعتين وعن كعب فاذن جبريل
ونزلت الملائكة من السما وحشر الله له المرسلين فصلى النبي
صلى الله عليه وسلم بالملائكة والمرسلين فلما انصرف قال جبريل
يا محمد اتدري من صلى خلفك قال لا قال كل نبي بعثه الله
تعالى ثم اثنى كل من الانبيا على ربه ثناء جميلا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم كلكم اثنى على ربه وانا مثن على ربي ثم شرع يقول
الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا
وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شي وجعل امتي خير امة اخرجت
للناس وجعل امتي وسطا وجعل امتي هم الاولون والاخرون
وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع ذكري وجعلني
فاتحا وخاتما فقال ابرهيم صلى الله عليه وسلم بهذا فضلكم
محمد صلى الله عليه وسلم واخذ النبي صلى الله عليه وسلم من العطش
اشد ما اخذه فجاءه جبريل صلى الله عليهما وسلم باناءين خمر واناء لبن
فاختار اللبن فقال له جبريل اخترت الفطرة ولو شربت الخمر لغوت
امتك ولم يتبعك منهم الا القليل وفي رواية ان الانية كانت
ثلاثة والثالث فيه ما وان جبريل قال له لو شربت الما لغرقت
امتك وفي رواية ان احد الانية التي عرضت عليه كان فيه عسل

بلا

بدله الما وانه راى عن يسار الصخرة الحور العين وسلم عليهن
فردن عليه وسالهن فاجبنه بما تقر به العين ثم
اتي بالمعراج الذي تعرج عليه ارواح بني ادم فلم تر الخلايق احسن
منه له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وهو من جنة
الفردوس منضد باللولو عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة
فصعد هو وجبريل حتى انتهيا الى باب من ابواب السما الدنيا
يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسمعيل وهو
صاحب سما الدنيا يسكن الهوا لم يصعد الى السما قط
ولم يهبط الى الارض الا يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم
وبين يديه سبعون الف ملك مع كل ملك جنده مائة
الف فاستفتح جبريل باب السما قيل من هذا قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه وفي
رواية بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا حياه
الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي
جا ففتح لهما فلما خلصا فاذا فيها ادم كهيئته يوم
خلقه الله على صورته تعرض عليه ارواح الانبيا وذريته
المومنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها
في عليين ثم تعرض عليه ارواح ذريته الكفار فيقول
روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين وعن يمينه
اسودة وباب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله اسودة
وباب يخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر قبل يمينه ضحك
واستبشر واذا نظر قبل شماله حزن وبكى فسلم عليه
النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال

مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل
من هذا قال هذا ابوك آدم وهذه الاسودة نسم بنيه فاهل
اليمين منهم اهل الجنة واهل الشمال منهم اهل النار فاذا نظر
عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى وهذا الباب الذي
عن يمينه باب الجنة اذا نظر من يدخله من ذريته ضحك
واستبشر والباب الذي عن شماله باب جهنم اذا نظر من يدخله
من ذريته بكى وحزن ثم مضى هنيهة فوجد اكلة
الربا واموال اليتامى والزناة وغيرهم على حالة
شنيعة نحو ما تقدم وابشع ثم صعد الى السما الثانية
فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا واهلا
حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم
المجيء جا ففتح لهما فلما خلصا اذا هو بابني الخالة عيسى ابن
مريم ويحيى بن زكريا شبيه احدهما بصاحبه ثيابهما
وشعرهما ومعهما نفر من قومهما واذا عيسى جعد مربوع
الى الحمرة والبياض سبط الراس كانما خرج من ديماس
اي حمام شبهه بعروة بن مسعود الثقفي فسلم عليهما
فردا عليه السلام ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي
الصالح ودعيا له بخير ثم صعد الى السما الثالثة
فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا
حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم
المجيء جا ففتح لهما فلما خلصا فاذا هو بيوسف ومعه نفر

من

من قومه فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ
الصالح والنبي الصالح ودعا له بخير واذا هو قد اعطي شطر
الحسن وفي رواية احسن ما خلق الله قد فضل الناس
بالحسن كالقمر ليلة البدر على ساير الكواكب قال من هذا
يا جبريل قال اخوك يوسف ثم صعد الى السما الرابعة
فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا
حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم
المجيء جا ففتح لهما فلما خلصا فاذا هو بادريس قد رفعه الله
مكانا عليا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال مرحبا
بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم دعا له بخير ثم صعد الى السما
الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا
به واهلا حياه الله من اخ فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء
جا ففتح لهما فلما خلصا فاذا هو بهارون ونصف لحيته بيضا
ونصف لحيته سودا تكاد تضرب الى سرته من طولها وحوله
قوم من بني اسرائيل وهو يقص عليهم فسلم عليه فرد عليه السلام
ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم دعا له بخير
فقال يا جبريل من هذا قال هذا الرجل المحبب في قومه
هرون بن عمران ثم صعد الى السما السادسة
فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا
حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم

المجيء جا فنتح لهما فجعل يمر بالنبي والنبيين معهم الرهط والنبي والنبيين معهم القوم والنبي والنبيين ليس معهم احد ثم مر بسواد عظيم فقال من هذا قيل موسى وقومه ولكن ارفع راسك فاذا بسواد عظيم قد سد الافق من ذا الجانب ومن ذا الجانب فقيل له هولا امتك وسوى هولا سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فلما خلصا فاذا هو بموسى بن عمران رجل آدم طوال كانه من رجال شنوءة كثير الشعر لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دونهما فسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم دعا له بخير وقال يزعم الناس اني اكرم على الله من هذا بل هذا اكرم على الله مني فلما جاوز النبي صلى الله عليه وسلم بكى فقيل له ما يبكيك قال ابكي ان غلاما بعث من بعدي يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخل الجنة من امتي يزعم بنو اسرايل اني اكرم بني ادم على الله وهذا رجل من بني ادم خلفني في دنيا وانا في اخرى فلو انه في نفسه لم ابال ولكن معه امته ثم صعد الى السما السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي جا ففتح لهما فلما خلصا فاذا النبي صلى الله عليه وسلم بابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم جالس عند باب الجنة على كرسي مسند ظهره الى البيت المعمور ومعه نفر من قومه فسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالابن

الصالح

الصالح والنبي الصالح وقال مر امتك فليكثروا من غراس الجنة فان تربتها طيبة وارضها واسعة فقال وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله وفي رواية اقرا امتك مني السلام واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الما وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعنده قوم جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم في الوانهم شي فقام هولا الذين في الوانهم شي فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من الوانهم شي ثم دخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من الوانهم شي ثم دخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص الوانهم فصارت مثل الوان اصحابهم فجاوا فجلسوا الى اصحابهم فقال يا جبريل من هولا البيض الوجوه ومن هولا الذين في الوانهم شي وما هذه الانهار التي دخلوها فقال اما هولا البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم واما هولا الذين في الوانهم شي فقوم خلطوا عملا صالحا واخر سيا فتابوا فتاب الله عليهم واما هذه الانهار فاولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث سقاهم ربهم شرابا طهورا وقيل له هذا مكانك ومكان امتك واذا هو بامته شطرين شطر عليهم ثياب كانها القراطيس وشطر عليهم ثياب رمد فدخل البيت المعمور ودخل معه الذين عليهم الثياب البيض وحجب الاخرون الذين عليهم الثياب الرمد وهم على خير فصلى ومن معه من المومنين في البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه الى يوم القيمة

وانه بهذه الكلمة لو خرّ عليها اخر ما عليهم ثم خرج ومن
معه وفي رواية انه عرضت عليه الانية الثلاثة المتقدمة
فاخذ اللبن فصوب جبريل فعله كما تقدم وقال كما في رواية
هذه الفطرة التي انت عليها وامتك ثم رفع الى السدرة
المنتهى واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها
ينتهي ما يهبط من فوق فيقبض منها واذا هي شجرة يخرج
من اصلها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه
وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى يسير
الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها واذا نبقها مثل قلال
هجر واذا ورقها كاذان الفيلة تكاد الورقة تغطي هذه
الامة وفي رواية الورقة منها تظل الخلق على كل ورقة
ملك فغشيها الوان لا يدري ما هي فلما غشيها من امر
الله ما غشيها تغيرت وفي رواية تحولت ياقوتا وزبرجدا
فما يستطيع احد ان ينعتها من حسنها فيها فراش
من ذهب واذا في اصلها اربعة انهار نهران باطنان
ونهران ظاهران فقال ما هذه يا جبريل قال اما
الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل
والفرات وفي رواية انه راى جبريل عند السدرة
له ستمائة جناح جناح منها قد سد الافق يتناثر
من اجنحته التهاويل الدر والياقوت ما لا يعلمه الا
الله تعالى ثم اخذ على الكوثر حتى دخل الجنة فاذا
فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
فراى على بابها مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض

بثمانية عشر فقال يا جبريل ما بال القرض افضل من الصدقة قال
لان السائل يسال وعنده والمستقرض لا يستقرض
الا من حاجة فسار فاذا هو بانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار
من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى واذا رمانها
كالدلاء وفي رواية واذا فيها رمان كانه جلود الابل
المقتبة واذا بطير كانها البخاتي فقال ابو بكر يا رسول
الله ان تلك الطير لناعمة قال اكلتها انعم منها واني
ارجو ان تاكل منها وراى نهر الكوثر على حافتيه قباب
الدر المجوف واذا طينه مسك اذفر ثم عرضت عليه
النار فاذا فيها غضب الله وزجره ونقمته لو طرح
فيها الحجارة والحديد لاكلتها فاذا قوم ياكلون الجيف
فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون
لحوم الناس وراى مالكا خازن النار فاذا رجل عابس
يعرف الغضب في وجهه فبدا النبي صلى الله عليه وسلم
بالسلام ثم اغلقت دونه ثم رفع الى سدرة
المنتهى فغشيته سحابة فيها من كل لون فتاخر
جبريل ثم عرج به حتى ظهر لمستوى سمع فيه
صريف الاقلام وراى رجلا مغيبا في نور العرش
فقال من هذا املك قيل لا قال نبي قيل لا قال
من هو قيل هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب من
ذكر الله وقلبه معلق بالمساجد ولم يستسب لوالديه
قط فراى ربه سبحانه وتعالى فخر النبي صلى الله عليه وسلم
ساجدا وكلمه ربه تعالى عند ذلك فقال له يا محمد قال

لبيك يا رب قال سل فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته
ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا
عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت
سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين
وسخرت له الرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه
والابرص ويحيي الموتى باذنك واعذته وامه من
الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل فقال
الله سبحانه وتعالى قد اتخذتك حبيبا قال الراوي
وهو مكتوب في التوراة حبيب الله وارسلتك للناس
كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت
عنك وزرك ورفعت لك ذكرك لا اذكر الا ذكرت
معي وجعلت امتك خير امة اخرجت للناس وجعلت
امتك امة وسطا وجعلت امتك هم الاولون والاخرون
وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك
عبدي ورسولي وجعلت من امتك اقواما قلوبهم
اناجيلهم وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم
بعثا واول من يقضى له واعطيتك سبعا من المثاني
لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة
من كنز تحت العرش لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك الكوثر
واني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك
وعلى امتك خمسين صلاة فقم بها انت وامتك وفي
رواية واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات

الخمس

الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من امته
شيئا المقحمات ثم انجلت عنه السحابة واخذ بيده جبريل
فانصرف سريعا فاتى على ابرهيم فلم يقل شيئا ثم اتى على موسى
قال ونعم الصاحب كان لكم فقال ما صنعت يا محمد ما فرض
ربك عليك وعلى امتك قال فرض علي وعلى امتي خمسين
صلاة كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاساله التخفيف
عنك وعن امتك فان امتك لا تطيق ذلك فاني قد خبرت
الناس قبلك وبلوت بني اسرائيل وعالجتهم اشد المعالجة
على ادنى من هذا فضعفوا وتركوه فامتك اضعف
اجسادا وابدانا وقلوبا وابصارا واسماعا فالتفت النبي
صلى الله عليه وسلم الى جبريل يستشيره فاشار اليه
جبريل ان نعم ان شئت فرجع سريعا حتى انتهى الى الشجرة
فغشيته السحابة وخر ساجدا وقال رب خفف عن
امتي فانها اضعف الامم قال قد وضعت عنكم خمسا ثم
انجلت السحابة ورجع الى موسى فقال وضع عني خمسا
فقال ارجع الى ربك فاساله التخفيف فان امتك لا تطيق
ذلك فلم يزل يرجع بين موسى وبين ربه يحط عنه
خمسا خمسا حتى قال يا محمد قال لبيك وسعديك قال
هن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك
خمسون صلاة لا يبدل القول لدي ولا ينسخ كتابي ومن هم
بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا
ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة
فنزل حتى انتهى الى موسى فاخبره فقال ارجع الى ربك فاساله التخفيف

فان امتک لا تطيق ذلک فقال قد راجعت ربي حتى استحييت منه
و لکن ارضى واسلم فنادى مناد ان قد امضيت فريضتي
وخففت عن عبادي فقال له موسى اهبط بسم الله ولم يمر
على ملاء من الملئکة الا قالوا عليک بالحجامة وفي رواية
مر امتک بالحجامة شهر ابخد ر فقال لجبريل ما لي لم
آت اهل سما الا رحبوا بي و ضحکوا الي غير واحد سلمت
عليه فرد السلام ورحب بي ودعا لي ولم يضحک لي قال
ذلک مالک خازن النار لم يضحک منذ خلق و لو ضحک
لاحد لضحک اليک فلما نزل الى السما الدنيا نظر اسفل منه فاذا
هو برهج ودخان واصوات فقال ما هذا يا جبريل قال
هذه الشياطين يحومون على اعين بني ادم لا يتفکرون في
ملکوت السموات والارض ولولا ذلک لراو العجايب ثم
رکب منصرفا فمر بعير لقريش بمکان کذا وکذا منها
جمل عليه غرارتان غرارة سودا وغرارة بيضا فلما
حاذى العير نفرت واستدارت وصرع ذلک البعير
وانکسر ومر بعير قد ضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان
فسلم عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم اتى اصحابه
قبل الصبح بمکة فلما اصبح قطع وعرف ان الناس يکذبونه
فقعد حزينا فمر به عدو الله ابو جهل فجا حتى جلس اليه فقال
له کالمستهزي هل کان من شي قال نعم قال ما هو قال اسري
بي الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ثم اصبحت
بين ظهرانينا قال نعم فلم يره انه يکذبه مخافة ان يجحد الحديث
ان دعا قومه اليه قال ارايت ان دعوت قومک اتحدثهم بما

اى اشتد عليه وعالج ذلک

حدثني

حدثني قال نعم قال يا معشر بني کعب بن لوي
فانتفضت اليه المجالس وجاوا حتى جلسوا اليهما فقال
حدث قومک بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اني اسري بي الليلة قالوا الى اين قال الى بيت
المقدس قالوا ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم فمن بين
مصفق ومن بين واضع يده على راسه متعجبا وضجوا واعظموا
ذلک فقال المطعم بن عدي کل امرک قبل اليوم کان امما غير
قولک اليوم انا اشهد انک کاذب نحن نضرب اکباد الابل
الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم انک
اتيته في ليلة واللات والعزى لا اصدقک فقال ابو بکر
يا مطعم بئس ما قلت لابن اخيک جبهته وکذبته انا اشهد
انه صادق فقالوا يا محمد صف لنا بيت المقدس کيف بناوه
وکيف هيئته وکيف قربه من الجبل وفي القوم من سافر
اليه فذهب ينعت لهم بناوه کذا وهيئته کذا وقربه من
الجبل کذا فما زال ينعت لهم حتى التبس عليه النعت فکرب
کربا ما کرب مثله فجيء بالمسجد وهو ينظر اليه حتى وضع
دون دار عقيل او عقال فقالوا کم للمسجد من باب ولم
يکن عدها فجعل ينظر اليه ويعدها بابا بابا ويعلمهم وابو بکر
يقول صدقت صدقت اشهد انک رسول الله فقال
القوم اما النعت فوالله لقد اصاب ثم قالوا لابي بکر اتصدقه
انه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجا قبل ان يصبح قال نعم
اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلک اصدقه بخبر السما في غدوة
او روحة فبذلک سمي ابو بکر الصديق ثم قالوا يا محمد اخبرنا عن

المطعم من کبرا هوازن و دکه من نوفل
ابن عبد مناف بلغ مع النبي صلى الله
عليه وسلم من عبد مناف في الکلام
يجور

فان اسك لا نطيق ذلك فقال قد راجعت ربي حتى استحيت منه
ولكن ارضى واسلم فنادى منادٍ ان قد امضيت فريضتي
وخففت عن عبادي فقال له موسى اهبط بسم الله ولم يمر
على ملاء من الملئكة الا قالوا عليك بالحجامة وفي رواية
مر امتك بالحجامة [illegible] فقال لجبريل ما لي لم
آت اهل سماء الا رحبوا بي وضحكوا لي غير واحد سلمت
عليه فرد السلام ورحب بي ودعا لي ولم يضحك لي قال
ذلك مالك خازن النار لم يضحك منذ خلق ولو ضحك
لاحد لضحك اليك فلما نزل الى السماء الدنيا نظر اسفل منه فاذا
هو برهج ودخان واصوات فقال ما هذا يا جبريل قال
هذه الشياطين يحومون على اعين بني آدم لا يتفكرون في
ملكوت السموات والارض ولولا ذلك لرأوا العجائب ثم
ركب منصرفا فمر بعير لقريش بمكان كذا وكذا منها
جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما
حاذى العير نفرت واستدارت وصرع ذلك البعير
وانكسر ومر بعير قد ضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان
فسلم عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم اتى اصحابه
قبل الصبح بمكة فلما اصبح قطع وعرف ان الناس يكذبونه
فقعد حزينا فمر به عدو الله ابو جهل فجاء حتى جلس اليه فقال
له كالمستهزئ هل كان من شيء قال نعم قال ما هو قال اسري
بي الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ثم اصبحت
بين ظهرانينا قال نعم فلم ير انه يكذبه مخافة ان يجحده الحديث
ان دعا قومه اليه قال ارأيت ان دعوت قومك اتحدثهم بما

كذبوه ... [illegible]

اي اشتد عليه وهاله ذلك

حدثني

حدثتني قال نعم قال يا معشر بني كعب بن لوي
فانتفضت اليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا اليهما فقال
حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اني اسري بي الليلة قالوا الى اين قال الى بيت
المقدس قالوا ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم فمن بين
مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا وضجوا واعظموا
ذلك فقال المطعم بن عدي كل امرك قبل اليوم كان امما غير
قولك اليوم انا اشهد انك كاذب نحن نضرب اكباد الابل
الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم انك
اتيته في ليلة واللات والعزى لا اصدقك فقال ابو بكر
يا مطعم بئس ما قلت لابن اخيك جبهته وكذبته انا اشهد
انه صادق فقالوا يا محمد صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه
وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل وفي القوم من سافر
اليه فذهب ينعت لهم بناؤه كذا وهيئته كذا وقربه من
الجبل كذا فما زال ينعت لهم حتى التبس عليه النعت فكرب
كربا ما كرب مثله فجيء بالمسجد وهو ينظر اليه حتى وضع
دون دار عقيل او عقال فقالوا فكم للمسجد من باب ولم
يكن عدها فجعل ينظر اليه ويعدها بابا بابا ويعلمهم وابو بكر
يقول صدقت صدقت اشهد انك رسول الله فقال
القوم اما النعت فوالله لقد اصاب ثم قالوا لابي بكر افتصدقه
انه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح قال نعم
اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء في غدوة
او روحة فبذلك سمي ابو بكر الصديق ثم قالوا يا محمد اخبرنا عن

المطعم من كبار مشركي ... بن نوفل
ابن عبد مناف ... النبي صلى الله عليه
وسلم بن عبد مناف وفي الكلام
تجوز

عيرنا فقال اتيت على عير بني فلان بالروحا قد ضلوا ناقة لهم فانطلقوا
في طلبها فانتهيت الى رحالهم فليس بها منهم احد واذا قدح ما فشربت
منه ثم انتهيت الى عير بني فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه
غرارة سودا وغرارة بيضا فلما حاذيت العير نفرت وصرع
ذلك البعير وانكسر ثم انتهيت الى عير بني فلان في التنعيم
يقدمها جمل اورق عليه مسح اسود وغرارتان سودا وان
وها هي ذه تطلع عليكم من الثنية قالوا فمتى تجيء قال
يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم اشرفت عيرهم قريش
ينتظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا النبي صلى الله عليه
وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس حتى
دخلت العير فاستقبلوا الابل فقالوا هل لكم بعير قالوا نعم
قال فسالوا العير الاخر فقالوا هذا انكسر لكم ناقة حمرا
قالوا نعم قالوا فهل كان عندكم قصعة من ما فقال رجل
انا والله وضعتها فما شربها احد منا ولا اهريقت في الارض
فرموه بالسحر وقالوا صدق الوليد فانزل الله تعالى وما
جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس ولنشرع
الان بمعونة الله تعالى في الكلام على بعض الفوائد المتعلقة بقصة
الاسرا والمعراج من عدة اوجه **الوجه الاول**
في كيفية الاسرا والمعراج وهل تكررا او لا وقد اختلف في ذلك
والذي ذهب اليه الجمهور من المفسرين والمحدثين والفقها والمتكلمين
الى انهما وقعا في ليلة واحدة بالروح والجسد معا في اليقظة لا في
المنام من مكة الى بيت المقدس ثم الى السموات العلى الى سدرة المنتهى
الى حيث شاء الله العلي الاعلى قال القاضي عياض في عيون وهو الحق

وعلى

وعليه تدل الاية نصا وصحيح الاخبار الى السموات استفاضة ولا
يعدل عن الظاهر والاخبار الواردة فيه ولا عن الحقيقة المتلوة
الى الاذهان من الفاظها الى التاويل الا عند الاستحالة وتعذر
حمل اللفظ على حقيقته وليس في الاسرا بجسده وحال يقظته استحالة
تؤذن بتاويله اذ لو كان مناما لقال سبحان الذي اسرى بروح عبده
ولم يقل بعبده والعبد حقيقة هو الروح والجسد كما تقدم ذلك
ولو كان مناما لما كان فيه اية ولا معجزة خارقة للعادة توجب
صدقه وان كانت رؤيا الانبيا وحيا اذ ليس فيه من الابلغية
وخرق العادة ما فيه يقظة وايضا لو كان مناما لما استبعده
المشركون ولا كذبوه ولا ارتد به ضعفا من اسلم وافتتنوا
به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن منهم ذلك الاستبعاد
والتكذيب والارتداد والافتتان الا وقد علموا ان خبره
انما كان عن جسمه وحال يقظته وذلك بعيد عن ساحة العادة
خصوصا ووقوعه في مثل ذلك الزمن مما يستبعد جدا ه
وذهب بعضهم الى ان الاسرا كان في ليلة والمعراج في ليلة
اخرى قال ابن دحية والى جنح البخاري لانه افرد لكل منهما
ترجمة قال الحافظ ابن حجر ولا دلالة في ذلك على التغاير عنده
بل كلامه في اول الصلاة ظاهر في اتحادهما وذلك انه ترجم
باب كيف فرضت الصلاة ليلة الاسرا والصلاة انما فرضت في
المعراج فدل على اتحادهما عنده وانما افرد كلا منهما بترجمة لان
كلا منهما يشتمل على قصة منفردة وان كانا وقعا معا انتهى ويؤيد
وقوع المعراج عقب الاسرا في ليلة واحدة رواية ثابت
عند مسلم اتيت بالبراق فركبت حتى اتيت بيت المقدس

فذكر القصة الى ان قال ثم عرج بنا الى السما الدنيا وحديث ابي سعيد
الخدري عن ابن اسحق فلما فرغت مما كان في بيت المقدس اتي
بالمعراج فذكر الحديث وذهب جماعة الى ان الاسرا كان
بروحه في المنام ويعزى هذا المذهب لمعاوية رضي الله عنه واحتج
لذلك بقوله تعالى وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة
للناس والرويا انما تطلق على ما كان مناما ولظاهر ما في بعض
الاحاديث من قوله بينا انا نايم وفي بعضها ثم استيقظت
وانا بالمسجد الحرام ويعزى هذا المذهب ايضا لعايشة
رضي الله عنها لما في حديث ابن اسحق من قولها ما فقدت جسد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اسري بروحه واجيب
عن الاية بان الرويا قد تكون بمعنى الروية في اليقظة كما نقل عن
ابن عباس وبان قوله فتنة للناس يويد انها رويا عين اذ ليس
في الحلم فتنة ولا يكذب به احد وعن قوله بينا انا نايم بان
اول مجي الملك اليه وهو نايم فايقظه لا انه استمر نايما واما
قوله فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام فمعناه افقت اي افاق
مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة عجايب الملكوت ورجع الى
عالم الملك فلم يرجع الى حاله البشرية الا وهو بالمسجد الحرام
على ان الحديث الذي ورد فيه ذكر النوم سومح فيه لان العلما
اتفقوا على ان شريكا راويه اضطرب فيه وما حفظه
وزاد ونقص وقدم واخر واما ما يعزى لعايشة فانه لم يرد
بسند يصلح للحجة بل في سنده انقطاع وراو مجهول وبتقدير صحته
فعايشة لم تكن زوجة اذ ذاك ولا كانت في سن من يضبط
الامور وعلى القول بان الاسرا كان بعد المبعث بعام لم تكن

ولدت

ولدت بعد فاذا لم تشاهد ذلك دل على انها حدثت به عن غيرها
فلم يرجح خبرها على قول ام هاني بخلافه وذهب جماعة منهم
الامام ابو شامة الى تكرر الاسرا والمعراج واحتج بما رواه
البزار وغيره عن انس من قصة في المعراج مخالفة لما تقدم
في قصته قال الحافظ ابن حجر ولا يبعد في وقوع مثل ذلك
في المنام واما المستغرب وقوع التعدد في قصة المعراج
التي وقع فيها السوال عن كل نبي وسوال اهل كل سماء
هل بعث اليه وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك فان تعدد
مثل ذلك في اليقظة لا يتجه فيتعين رد بعض الروايات
المختلفة الى بعض والترجيح الا انه لا بعد في وقوع جميع
ذلك في المنام ثم وقوعه في اليقظة على وفقه انتهى
وقد ذهب جماعة منهم البغوي وجزم به النووي
في فتاويه الى ان الاسرا وقع مرتين مرة في النوم ومرة
في اليقظة قالوا وكانت مرة النوم توطية له وتيسيرا
عليه كما كان بدو نبوته الرويا الصادقة ليسهل عليه
امر النبوة فانه امر عظيم تضعف عنه القوى البشرية
وكذلك الاسرا سهله عليه الرويا لان هوله عظيم فجاء في
اليقظة على وفقه في المنام توطية وتقدمة رفقا
من الله بعبده وتسهيلا عليه **الوجه الثاني** في وقت
الاسرا به ومكانه اما وقت الاسرا فالصواب الذي
اتفق عليه العلما ان الاسرا كان بعد البعثة واما ما وقع
في بعض الروايات انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه
فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيحمل

على ان المجيء الثاني كان بعد ان اوحي اليه وحينئذ وقع الاسرا
والمعراج واذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق بين
ان تكون قليلة او كثيرة قال ابن كثير وهذا الحمل هو
الاظهر وبه يرتفع الاشكال كما قاله الحافظ ابن حجر وتكلف
كما قاله بعضهم ان يكون المعنى قبل ان يوحى اليه في شان الاسرا
والمعراج مثلا اي وقع ذلك بغتة قبل ان ينذر به واختلفوا
في اي سنة كان فجزم جمع بانه كان قبل الهجرة بسنة وجرى
عليه النووي وبالغ ابن حزم فنقل فيه الاجماع وقيل قبل
الهجرة بثلاث سنين حكاه ابن الاثير وقال القاضي
عياض قبل الهجرة بخمس سنين ورجحه بالاتفاق على
ان خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة وانها ماتت
قبل الهجرة بثلاث او خمس ولا خلاف ان فرضها ليلة الاسرا
واجيب بان الصلاة التي صلتها معه هي التي كانت اول
البعثة وكانت ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي وانما
الذي فرض ليلة الاسرا الصلوات الخمس وماتت خديجة
قبل ذلك وقيل كان بعد البعثة بخمس سنين وقيل
بخمسة عشر شهرا وقيل بعام ونصف واختلفوا
ايضا في اي الشهور كان فجزم ابن الاثير وجمع منهم النووي
في فتاويه كما في النسخ المعتمدة بانه كان في ربيع الاول
قال النووي ليلة سبع وعشرين وجرى عليه جمع وفي بعض
نسخ شرح مسلم كما في الفتاوي وفي اكثر النسخ من شرح مسلم
انه كان في ربيع الاخر كما في بعض نسخ الفتاوي وقيل كان
ليلة سبع وعشرين من رجب وجزم به النووي في الروضة

تبعا

تبعا للرافعي وقيل كان في رمضان وقيل في شوال وعين
بعضهم اليوم الذي اسفرت عنه تلك الليلة بانه يوم الاثنين
وحاول الاسنوي فقه كون المولد يوم الاثنين وكون المبعث يوم
الاثنين وكون المعراج يوم الاثنين وكون الهجرة يوم الاثنين وكون
الوفاة يوم الاثنين قال فان هذه اطوار الانتقالات النبوية
وجودا ونبوة ومعراجا وهجرة ووفاة فهذه خمسة اطوار
فيكون يوم الاثنين في حقه صلى الله عليه وسلم كيوم الجمعة في حق
ادم عليه الصلاة والسلام فيه خلق وفيه انزل الى الارض وفيه تاب
الله عليه وفيه مات وكانت اطواره الوجودية والدينية في يوم
واحد وروى ابن ابي شيبة عن جابر وابن عباس رضي الله
عنهما قالا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين
وفيه بعث وفيه عرج به الى السما وفيه مات وفي قولهما وفيه
عرج الى السما اي ابتدا ليلته لان الاسرا كان بالليل اتفاقا
واما مولده صلى الله عليه وسلم فالصحيح انه كان نهارا كما قاله
البدر الزركشي وقيل كان ليلا فلعل المراد ايضا ليلته كما
تقدم واما مكانه فباعتبار البلد المشهور انه بمكة ومن
قال بالمدينة فيحمل على التعدد في المنام وباعتبار المكان الخاص
فيوخذ من الاحاديث اقوال ففي رواية انه كان عند البيت وفي
اخرى في الحطيم وربما قال في الحجر والمراد بالحطيم هنا الحجر كما قال ابن
حجر وفي رواية فرج سقف بيتي وانا بمكة وفي رواية انه اسري به
من شعب ابي طالب وفي رواية انه كان في بيت ام هاني قال
الحافظ ابن حجر والجمع بين هذه الاقوال انه نام في بيت
ام هاني وبيتها عند شعب ابي طالب ففرج عن سقف بيته

واضاف البيت اليه لانه كان يسكنه فنزل منه منزلة الملك
واخرجه الى المسجد فكان به مضطجعا وبه اثر النعاس
ثم اخرجه الى باب المسجد فاركبه البراق قال وقد وقع في
مرسل الحسن عند ابن اسحق فاتاه فاخرجه الى المسجد
وهو يؤيد هذا الجمع انتهى وقال بعضهم ليس بين قوله بينا
انا في المسجد وبين قوله في بيتي او بيت ام هاني تناف لانه
قد يكون المراد بالمسجد الحرام الحرم كله انتهى **الوجه
الثالث** هل وقع الاسرا لغيره صلى الله عليه وسلم من الانبيا
او هو من خصوصياته صلى الله عليه وسلم اجاب العارف عبد العزيز
المهدوي بان مرتبة الاسرا بالجسم الى تلك الحضرات العلية
لم تكن لاحد من الانبيا الا لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى وقد
عده ايضا من خصايصه صلى الله عليه وسلم الحافظ الجلال السيوطي
في خصايصه الصغرى والكبرى **الوجه الرابع** قال ابن
المنير كانت كرامته صلى الله عليه وسلم في المناجاة على سبيل المفاجاة
كما اشار اليه بقوله بينا انا وفي حق موسى صلى الله عليه وسلم عن ميعاد
واستعداد فحمل عنه صلى الله عليه وسلم الم الانتظار ويوخذ من
ذلك ان مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى مقام موسى مقام
المراد بالنسبة الى مقام المريد وقال ابن دحية في قوله فرج سقف بيتي
بيانا لم يدخل عليه من الباب مع قوله تعالى واتوا البيوت من ابوابها
فالحكمة في ذلك المبالغة في المفاجاة والتنبيه على ان الكرامة
والاستدعا كان على غير ميعاد والاشارة الى ما سيقع من
شق صدره والتيامه بلا معالجة فاراه الملك بافراجه
عن السقف والتيامه على الفور كيفية ما يصنع به وقرب
له

له الامر لطفا في حقه وتثبيتا لصبره وقال بعضهم الحكمة
في نزوله عليه من السقف التنبيه على ان المراد منه ان يعرج
به الى جهة العلو **الوجه الخامس** الرجلان اللذان كان النبي
صلى الله عليه وسلم نايما بينهما تلك الليلة حمزة وجعفر رضي الله
عنهما قال ابن ابي جمرة وفي هذا دليل على تواضعه صلى الله عليه
وسلم وحسن خلقه اذ انه في الفضل حيث هو ومع ذلك كان
يضطجع مع الناس ويقعد معهم ولم يجعل لنفسه الكريمة مزية
عليهم وفيه دليل على جواز نوم الجماعة في موضع واحد لكن يشترط
في ذلك ان يكون لكل منهم ما يستر به جسده عن صاحبه **الوجه
السادس** فيما وقع في القصة من شق صدره الشريف وقد
انكر بعضهم وقوع ذلك ليلة الاسرا وقال انما كان ذلك وهو
صغير في بني سعد قال الحافظ ابن حجر وغيره ولا انكار في ذلك
فقد تواردت به الاخبار ووقع له صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث
مرات الاولى وهو صغير في بني سعد عند مرضعته حليمة الثانية
عند البعثة الثالثة ليلة الاسرا ولكل من الثلاث حكمة فالاولى
التي كانت في زمن الطفولية لينشا على اكمل الاحوال من العصمة من
الشيطان ولعل هذا الشق كان سببا في اسلام قرينه المروي
عند البزار من حديث ابن عباس والثانية التي عند المبعث زيادة
في الكرامة ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي في اكمل الاحوال من التطهير
والثالثة التي عند ارادة العروج الى السما ليتاهب للمناجاة
قال الحافظ المذكور ويحتمل ان تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع
المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما هو في شرعه صلى الله
عليه وسلم في الطهارة قال بعضهم وهذه الحكمة من اعظم الحكم

والطفها وادقها وحقها ان تكتب بالذهب على صفحات القلوب لا رقاع
محلها قال بعضهم قدس الله داخل الحرم الشريف دا الملك بداخل الحضرة
المقدسة فلما كان الحرم الشريف من عالم الملك وهو ظاهر الكاينات
انيط الغسل له بظاهر البدن في عالم المعاملات ولما كانت الحضرة
الشريفة من عالم الملكوت وهو باطن الكاينات انيط الغسل له
بباطن البدن في التحقيقات وقد عرج به لتفرض عليه الصلاة
وليصلي بملائكة السموات ومن شان الصلاة الطهور فقدس
ظاهرا وباطنا فهو صلى الله عليه وسلم وان كان الله تعالى خلقه نورا
مستقلا من الانبيا وفي هذا النور ما يغني عن التطهير الحسي
لكن الغسلة الاولى لعلم اليقين والثانية لعين اليقين والثالثة
لحق اليقين **وقد** ورد ان صدره صلى الله عليه وسلم
شق ايضا وهو ابن عشر سنين فتكون المرات اربعا وذكر
بعضهم في حكمة ذلك ان العشر لما كان قريبا من سن التكليف
شق صدره عليه الصلاة والسلام وقدس حتى لا يتلبس بشي
مما يعاب على الرجال قال الحافظ ابن حجر وما ذكر من شق الصدر
واستخراج القلب ما يجب التسليم له ولا يصرف عن حقيقته
لصلاحية القدرة فلا يستحيل شي من ذلك ويويده كما قاله
بعضهم الحديث الصحيح انهم كانوا يرون اثر المخيط في صدره
قال ابن المنير وشق الصدر له صلى الله عليه وسلم وصبره
عليه من جنس ما ابتلي به الذبيح وصبر عليه بل هذا اشق واجل لان
تلك معاريض وهذه حقيقة وايضا فقد تكرر ووقع له وهو
رضيع بعيد من اهله صلى الله عليه وسلم وقد اختلف هل كان
شق الصدر وغسله مخصوصا به او وقع لغيره من الانبيا

قال

قال الحافظ ابن حجر في الفتح وقد وقع عند الطبري في قصة تابوت
بني اسرائيل انه كان فيه الطست التي تغسل فيها قلوب الانبيا
وهذا مشعر بالمشاركة انتهى وصحح الحافظ الجلال السيوطي
في خصايصه الصغرى عدم المشاركة وانه من خصايصه
صلى الله عليه وسلم وخالفه تلميذه العلامة محمد الشامي
فقال الراجح المشاركة واستند لقصة تابوت بني اسرائيل
من طريق السدي الكبير كما رواه سعيد بن منصور وابن
جرير بسند صحيح بزيادة على ما تقدم ثم قال ولم ار لعدم
المشاركة ما يعتمد عليه بعد الفحص الشديد **قلت** لكن
يمكن ان يقال وقوع شق الصدر له صلى الله عليه وسلم مع
تكرره ثلاث مرات او اربع لم يشاركه احد من الانبيا
فيه وعليه يحمل كلام الجلال السيوطي واما مطلق شق الصدر
فوقعت فيه المشاركة لغيره من الانبيا وعليه يحمل كلام
غيره ومستند ما قلته ان تكرر شق الصدر له صلى الله عليه
وسلم ثبت في الاحاديث التي بعضها في الصحيحين ووقوع
شق الصدر لغيره انما اخذ من القصة المذكورة وليس
فيها تعرض لتكرر هذا ما ظهر والله اعلم **واختلف**
هل وقع له ذلك مع مشقة اولا فقال الحافظ ابن حجر
من غير مشقة وبه جزم ابن الجوزي فقال فشقه وما
شق عليه وقال ابن دحية بمشقة عظيمة ولهذا انتقع
لونه اي صار كلون النقع وهو الغبار وهذه صفة الوان
الموتى قال بعضهم رواية انتقع لونه حكاية لما وقع له
في المرة الاولى وهو مسترضع في بني سعد وفي حديث ابي هريرة

في المرة الثانية وهو ابن عشر سنين بدا انه لم يقع له مشقة
بعد المرة الاولى ودفع السوال بل كان شق صدره صلى
الله عليه وسلم بالة قال بعض المحدثين لم ار من تعرض
له بعد التتبع وظاهر قوله فشق انه كان بالة **الوجه
السابع** في الحكمة في اختصاص الاناء بان يكون من
ذهب اما الطست فلكونه اشهر الات الغسل عرفا واما
كونه من ذهب فلانه اعلا الاواني واصفاها ولان فيه
خواص ليست في غيرها منها انه من اواني الجنة وانه لا تاكله
النار ولا التراب ولا يصدى وانه اثقل الجواهر فناسب
ثقل الوحي قال السهيلي وابن دحية ان نظر الى لفظ
الذهب ناسب من جهة اذهاب الرجس عنه ولكونه
وقع عند الذهاب الى ربه وان نظر الى معناه فلوضاءته
ونقائه وثقله والوحي ثقيل واما تحريم استعماله فهو
مخصوص باحوال الدنيا وذلك كان من احوال الغيب
فيلتحق بامور الاخرة **وقال النووي** ليس في هذا
الخبر ما يوهم جواز استعمال انا الذهب والفضة لان
هذا فعل الملائكة واستعمالهم وليس بلازم ان يكون حكمهم حكمنا
ولانه كان قبل تحريم النبي صلى الله عليه وسلم استعمال اواني
الذهب والفضة انتهى اي لان التحريم انما وقع في المدينة
كما نبه عليه الحافظ ابن حجر وهذا احسن من جوابه الاول
لانه تعقب بانه لا يكفي ان يقال ان المستعمل له ممن لم يحرم
عليه ذلك من الملائكة لانه لو كان قد حرم عليه استعماله
لنزه ان يستعمله غيره في امر يتعلق بيدنه المكرم

الوجه

الوجه الثامن يوخذ من غسل قلبه صلى الله عليه وسلم
بماء زمزم انه افضل من ماء الكوثر لانه لم يكن يغسل قلبه
الشريف الا بافضل المياه قاله الامام البلقيني وقال ابن
ابي جمرة انما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع في زمزم من كون
اصل مائها من الجنة ثم استقر في الارض فاريد بقاء بركته
صلى الله عليه وسلم في الارض انتهى وقيل لان ماء زمزم يقوي
القلب ويسكن الروع قال الحافظ الزين العراقي ولذلك
غسل به قلبه عليه السلام ليتقوى به على
رؤية الملكوت **الوجه التاسع** في معنى ما ورد في
القصة انه لما استخرج قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم
فغسله ونزع ما كان فيه من اذى وفي بعض الروايات
انه اخرج منه علقة سودا وقال هذا حظ الشيطان
منك **وقد سئل** الامام تقي الدين السبكي رحمه الله عن العلقة
السودا التي اخرجت من قلبه صلى الله عليه وسلم حين
شق فؤاده وقول الملك هذا حظ الشيطان منك
فاجاب رحمه الله تعالى بان تلك العلقة خلقها
الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها
فازيلت من قلبه صلى الله عليه وسلم فلم يبق فيه مكان
لان يلقي الشيطان فيه شيا هذا معنى الحديث ولم
يكن للشيطان فيه حظ واما الذي نفاه الملك امر هو
في الجبلات البشرية فازيل القابل الذي لم يكن يلزم من
حصوله حصول القذف في القلب قيل له فلم خلق الله تعالى
هذا القابل في هذه الذات الشريفة وكان يمكن ان لا يخلقه

تعالى فيه فقال انه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقه تكملة
للخلق الانساني ولا بد منه ونزعه كرامة ربانية طرأت
وقال غيره لو خلق الله نبيه صلى الله عليه وسلم سليما
منها لم يكن للادميين اطلاع على حقيقته فاظهره الله على
يد جبريل عليه السلام ليتحققوا كمال باطنه كما برز
لهم مكمل الظاهر **الوجه العاشر** في معنى
كون الطست مملوا حكمة وايمانا وافراغه في الصدر
مع ان الايمان والحكمة من الاعراض وهي لا يوصف بها الا
محلها والذي تقوم به ولا يجوز فيها الانتقال لانه من
صفات الاجسام قال الامام النووي والحافظ ابن حجر
المعنى جعل في الطست شيء يحصل به زيادة في كمال الايمان
وكمال الحكمة وهذا المملو يحتمل ان يكون على الحقيقة وتجسيد
المعاني جائز كما جاء ان سورة البقرة تجيء يوم القيمة
كانها ظلة والموت في صورة كبش وكذلك وزن الاعمال
وغير ذلك وقد اختلف في تفسير الحكمة على اقوال
كثيرة قال النووي الذي صفا لنا منها انها العلم
المشتمل على معرفة الله تعالى مع نفاذ البصيرة وتهذيب
النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده والحكيم
من حاز ذلك وقوله فافرغه اي الطست المملو حكمة
وايمانا في صدره المراد به القلب فسماه باسم ما هو فيه
وهو الصدر قال الشيخ ابو محمد بن ابي جمرة الحكمة في شق
صدره مع القدرة على ان يملي قلبه ايمانا وحكمة بغير
شق الزيادة في قوة اليقين لانه اعطي برؤية شق

ابو ... مسلم في باب تفاضل اهل الايمان ... ريحان اهل اليمن

بطنه

بطنه وعدم تأثره بذلك ما امن معه من جميع المخاوف العادية
فلذلك كان اشجع الناس حالا ومقالا ولذلك وصف
بقوله ما زاغ البصر وما طغى **الوجه الحادي عشر**
في الحكمة في الختم بين كتفيه خاتم النبوة مع بعض
الكلام على الخاتم المذكور وقد ان قال الامام السهيلي
الحكمة في وضع خاتم النبوة على جهة الاعتبار انه لما ملئ
قلبه ايمانا ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء مسكا او
درا فجمع الله تعالى اجزاء النبوة لسيدنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتممه وختم عليه بختمه فلم تجد نفسه
ولا عدوه سبيلا اليه من اجل ذلك الختم لان الشيء المختوم
محروس وكذلك تعد بين الله تعالى لنا في هذه الدار اذا
وجد احدنا الشيء بختمه زال الشك وانقطع الخصام
فيما بين الادميين فلذلك ختم رب العالمين في قلبه
ختما يطمئن له القلب الذي النور فيه ونفذت قوة القلب
فظهر بين كتفيه كالبيضة وقد اختلف في موضع
الخاتم من جسده فوقع في بعض الاحاديث انه بين
كتفيه وفي صحيح مسلم انه عند نغض كتفه اليسرى
وفي رواية شاذة انه عند غضروف كتفه اليمنى
والنغض اعلى الكتف عند الجمهور والغضروف
بغين مضمومة فضاد ساكنة معجمتين فواو ففاء
راس لوح الكتف ووقع في حديث شداد بن اوس في
مغازي ابن عائذ في قصة شق صدره وهو في بلاد بني
سعد بن بكر واقبل وفي يده خاتم له شعاع فوضعه

بين كتفيه وثديه قال الحافظ ابن حجر وهذا قد يوخذ
منه ان الختم وقع في موضعين من جسده والعلم عند الله
تعالى ومقتضى الاحاديث التي فيها شق الصدر ان وضع
الخاتم انه لم يكن موجودا حين ولادته وانما كان اول
وضعه لما شق صدره عند حليمة خلافا لمن قال ولد
به او حين وضع قال السهيلي والحكمة في كون الخاتم
عند نغض كتفه انه معصوم من وسوسة الشيطان
وذلك الموضع منه يدخل الشيطان يوسوس الى
القلب من تلك الجهة وقد اختلف في صفة خاتم
النبوة على اقوال كثيرة نحو العشرين قولا متقاربة
المعنى ففي رواية انه مثل زر الحجلة والزر واحد
الازرار زر الحجلة واحد الحجال وهي بيت كالقبة لها ازرار
كبار وعرى كالنشجانة هذا هو الاشهر في تفسير ذلك
وفي رواية انه كجمع بضم الجيم واسكان الميم اي كجمع الكف
وهو صورته بعد ان تجمع الاصابع وتضمها وفي رواية
انه كبيضة الحمامة وفي اخرى انه شعر مجتمع قال
بعض العلما اختلف اقوال الرواة في خاتم النبوة وليس
ذلك باختلاف بل كل شبه بما سنح له وكلها الفاظ مودا
واحد وهو قطعة لحم ومن قال شعر فلان الشعر حوله
متراكب عليه كما في الرواية الاخرى انه شامة سودا تضرب
الى الصفرة حولها شعرات متراكبات كانها عرف الفرس
وقال القرطبي دلت الاحاديث الثابتة على ان خاتم النبوة
كان شيئا بارزا احمر عند كتفه الايسر اذا قلل قدر

ببيضة

ببيضة الحمامة واذا كبر جمع اليد وذكر نحوه القاضي عياض
وزاد واما رواية جمع الكف فظاهرها المخالفة
فتتاول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على
هيئة جمع الكف لكنه اصغر منه في قدر بيضة الحمامة
واخرج الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه قال
لم يبعث الله نبيا الا وقد كان عليه شامة النبوة
في يده اليمنى الا ان يكون نبينا صلى الله عليه وسلم فان
شامة النبوة كانت بين كتفيه قال في المواهب
وعلى هذا فيكون وضع الخاتم بين كتفيه بازا قلبه مما
اختص به عن ساير الانبيا والله اعلم وذكر الحافظ
مغلطاي في الزهر ان الحاكم روى في تاريخه عن عايشة
انها لمست الخاتم حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوجدته قد رفع انتهى والحكمة في رفعه عند موته
صلى الله عليه وسلم مع ان النبوة والرسالة باقيتان
بعد موته حقيقة الحياة في قبره كسائر الانبيا
لانه لما وضع لحكمة وهي تمام الحفظ والعصمة من الشيطان
وقد تم الامن منه بالموت لم يبق لبقايه في جسده فايدة

النبوة والرسالة باقية بعد الموت حقيقة فافهم

الوجه الثاني عشر في الكلام على البراق وفي
الحكمة في ركوبه صلى الله عليه وسلم عليه وفي حكمة استصعابه
عند ارادة الركوب عليه فالبراق بضم الموحدة وتخفيف
الرا مشتق من البريق فقد جا في لونه انه ابيض او من
البرق لانه وصف بسرعة السير او من قولهم شاة برقا اذا
كان خلال صوفها الابيض طاقات سود ولا ينافيه وصفه

في الحديث بالبياض لان الوفا من الغنم معدودة في البيض ويجوز ان يجمع بين المعنيين فيسمى براقا للونه ولشدة سيره ويحتمل ان لا يكون مشتقا وقد ورد في صفته اقوال امثلها ما ذكر في القصة عن ابن عباس وابن مسعود في كون جناحيه في فخذيه تنقل موخر الدابة او لان ذلك جار على هذا الامر بخرق العادة ولاجل الراكب لانها لو كانا في جنبيه على العادة لكانا تحت فخذي الراكب او فوقهما ويحصل له مشقة بضمهما ونشرهما خصوصا مع السرعة العظيمة وفي بعض الاثار ان البراق لم يذكر ولا انثى فاقتضى ذلك ان يكون منفردا بالخلق بهذه الصفة من غير تولد وقد قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين لكن نقل الشيخ سعد الدين ان الملائكة الكرام لا ذكور ولا اناث الى اخر ما ذكره وفي اثر اخر ان جبريل خاطبه خطاب المونث قال ابن ابي جمرة ما ملخصه وانما كان ركوب النبي صلى الله عليه وسلم على البراق والقدرة صالحة لان يصعد بنفسه من غير براق لكن كان البراق بشارة له في التشريف لانه لو صعد بنفسه لكان في صورة ماش والراكب خلاف الماشي وقال ابن دحية ما ملخصه ايضا ولعل الاسرا بالبراق اظهار للكرامة العرفية فان الملك العظيم اذا استدعى وليا له وخصيصا به واستخصه اليه بعث اليه بمركوب سني يحمله عليه في وفادته اليه ولم يكن البراق بشكل الفرس لكنه بشكل البغل للاشارة الى ان الركوب في سلم وامن لا في حرب وخوف او لاظهار المعجزة في الاسراع العجيب من دابة ما يوصف

شكلها بالاسراع الشديد عادة فان قيل هلا كان الاسرا على اجنحة الملائكة او الريح كما كانت تحمل سليمان عليه السلام او الخطوة كطي الزمان قلت المراد اطلاعه على الايات الخارقة للعادة وما يتضمن امرا عجيبا ولا عجب في حمل الملائكة او الريح بالنسبة الى قطع هذه المسافة بخلاف قطعها على دابة في هذا الحجم المحكي عن صفتها وقد من تعظيمه بالملائكة ما هو اعظم من حمله على اجنحتها فقط فقد اخذ جبريل بركابه وميكائيل بزمام البراق وهما من اكابر الملائكة فاجتمع له صلى الله عليه وسلم حمل البراق وما هو كحمل البراق من الملائكة وهذا اتم في الشرف قاله في فتح الصفا وقد اختلف في حكمة استصعاب البراق فقال ابن بطال انما استصعب عليه لبعد عهده بركوب الانبيا قبله ويؤيده ما ورد في بعض طرق القصة فاستصعب البراق وكانت الانبيا تركبها قبلي وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن ركبت في الفترة وقال بعض المتاخرين ولا يبعد ان يقال انما كان استصعابه فرحا من هيبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام العيني في شرح البخاري وسمع العبد الضعيف من بعض مشايخه الثقات انه انما شمس ليعهد له الرسول عليه الصلاة والسلام بالركوب عليه يوم القيامة فلما وعده ذلك قر وذلك لانه جاء في التفسير في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى ان الله تعالى اعد له في الجنة اربعين الف براق ترعى في

وعن الشيخ قاسم الحنفي رحمه الله تعالى

في فتح الصفا لابن اقبرس والمقصد وجا في صفة البراق من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم في الحجر اذا اتاني ات فحركني فانتبهت الشخص فاذا هو جبريل عليه السلام قائم على باب المسجد معه دابة دون البغل وفوق الحمار وجهها وجه انسان وخفها خف حافر وذنبها ذنب ثور وعرفها

مزوج المينة انتهى وقد روى ابن زنجويه في فضائل الاعمال
عن كثير بن مرة الحضرمي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تبعث ناقة ثمود لصالح فيركبها من عند قبره حتى توافي
به المحشر وانا على البراق اختصصت به من دون الانبياء يومئذ ويبعث
بلال على ناقة من نوق الجنة ينادي على ظهرها بالاذان حقا فاذا
سمعت الانبياء وامهها اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله قالوا ونحن نشهد على ذلك وقال ابن
دحية وابن المنير انما استصعب تيها وزهوا بركوب النبي
صلى الله عليه وسلم واراد بقوله ابحمد تستصعب استنطاقه
بلسان الحال انه لم يقصد الصعوبة وانما هو لمكان النبي
صلى الله عليه وسلم منه ولهذا قال فارفض عرقا
فكانه اجابه بلسان الحال متبرئا من الاستصعاب
وعرق من خجل العتاب وذلك قريب من رجفة الجبل
به حتى قال له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد
فهي هزة طرب لا هزة غضب ولم يسم الله سبحانه سير البراق
برسول الله صلى الله عليه وسلم طيرانا وانما سماه بالسير
به السير المعتاد وسير الليل عند العرب يسمى اسرا
فيوخذ من هذا ان الولي اذا طويت له الارض البعيدة
في الساعة الواحدة مثلا وله اسم المسافر ويشمله
احكام السفر باعتبار القصر والفطر وانما لم يذكر
البراق في الرجوع لان ذلك معلوم بذكره في الصعود
كقوله تعالى وسرابيل تقيكم الحر يعني والبرد ويوخذ
مما ذكر في القصة ومما مر ان الانبياء عليهم السلام ركبوا
البراق

اذا طويت الارض للولي
هل يشمله احكام السفر

البراق ان ذكرنا لبعض خصائصه صلى الله عليه وسلم نعم قيل ركوبه
مسرجا ملجما لم يرد لغيره من الانبياء عليهم السلام **الوجه الثالث**
عشر في قوله في القصة وتكلم اربعة وهم صغار فذكر ابن
الماشطة وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم قد
تكلم في المهد جماعة غيرهم وصلوا بالاربعة المذكورين عشرة
ففي الصحيحين من حديث ابي هريرة مرفوعا لم يتكلم في المهد
الا ثلاثة فذكر عيسى وصاحب جريج وابن المرأة التي مر عليها
بامرأة يقال لها زنت وفي صحيح مسلم في قصة اصحاب الاخدود
ان امرأة جيء بها لتلقى في النار لتكفر ومعها صبي مرضع
فتقاعست فقال يا امه اصبري فانك على الحق وفي رواية
عند ابن قتيبة انه كان ابن سبعة اشهر وروى الثعلبي عن الضحاك
ان يحيى بن زكريا تكلم في المهد وذكر البغوي في تفسيره ان
ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم تكلم في المهد وفي سير الواقدي
ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم تكلم في اوائل ما ولد وقد
تكلم في زمنه مبارك اليمامة وهو طفل كما في الدلائل للبيهقي
فهؤلاء عشرة واما قوله صلى الله عليه وسلم المروي في الصحيحين
كما تقدم لم يتكلم في المهد الا ثلاثة الى اخره فقال الزركشي
اي من بني اسرائيل وقاله غيره قاله قبل ان يعلم الزيادة
وقد نظم اسماء المتكلمين في المهد العشرة الحافظ جلال
السيوطي رحمه الله تعالى فقال

تكلم في المهد النبي محمد ° ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبري جريج ثم شاهد يوسف ° وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي ° يقال لها تزني ولا تتكلم

قال في فتح الباري [illegible]
من ابيه وذكر [illegible] مريم

ومباشلة فعهد وعن طفلها ٥ دفن زين الهادي المبارك بحضرته
الوجه الرابع عشر في ذكر القصة نزوله صلى الله عليه وسلم
عن البراق وصلاته ببعض مواضع وقال حذيفة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يزايل ظهر البراق هو وجبريل حتى انتهيا الى
بيت المقدس قال الحافظ ابن حجر وهذا لم يسنده حذيفة الى
النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه قاله عن اجتهاد وقال بعضهم
ويدل على ذلك انكاره ربط البراق والصلاة في بيت المقدس
مع ورود الاحاديث الصحيحة عن جماعة من الصحابة بوقوع
ذلك وظاهر قول حذيفة لم يزايل هو وجبريل ظهر البراق
ان جبريل كان راكبا البراق مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد
اختلف في ذلك واجاب بعضهم عن قول حذيفة بانه يحتمل
ان يكون قوله هو وجبريل متعلق بمرافقته في السير
لا في الركوب وقال ابن دحية معناه وجبريل قائد او
سائق او دليل قال وانما جزمنا بذلك لان قصة المعراج
كانت كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره
فيها وقد تعقب الحافظ ابن حجر التأويل المذكور بان في صحيح
ابن حبان من حديث ابن مسعود ان جبريل حمله على البراق رديفا
له وفي رواية الحارث في مسنده اتى بالبراق فركبه خلف جبريل
فسار بهما وهذا وما قبله صريح في ركوبه وانه كان خلف جبريل
رديفا له لكن في حديث ابن ابي ليلى الذي رواه الطبراني
ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالبراق فحمله بين
يديه والله اعلم واما ما تقدم من انكار حذيفة رضي الله
عنه ربط البراق فروى الامام احمد والترمذي عنه انه

لما قيل له ربط البراق قال اخاف ان يفر منه وقد سخره
له عالم الغيب والشهادة قال البيهقي والسهيلي
والمثبت مقدم على النافي يعني من اثبت ربط البراق
في بيت المقدس معه زيادة علم على من نفى فهو اولى
بالقبول قال الامام النووي في ربط البراق الاخذ
بالاحتياط في الامور وتعاطي الاسباب وان ذلك
لا يقدح في التوكل اذا كان الاعتماد على الله سبحانه وتعالى
وقال السهيلي في هذا من الفقه التنبيه على الاخذ بالحزم
مع صحة التوكل وان الايمان بالقدر كما روي عن وهب
ابن منبه لا يمنع الحازم من توقي المهالك قال وهب
وجدته في سبعين كتابا من كتب الله القديمة وهذا نحو
قوله صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل فانه صلى الله
عليه وسلم بانه قد تحرز لكامل بقدر الله تعالى وعلمه
بانه قد سبق في ام الكتاب ما سبق ومع ذلك كان يتزود
في اسفاره ويعد السلاح في حروبه حتى لقد ظاهر بين
درعين في غزوة احد وربط البراق من هذا الفن وقوله
ان جبريل اتى الصخرة فوضع اصبعه فيها فخرقها وشد بها البراق
قال الطيبي في شرح المشكاة **فان قلت** كيف الجمع
بين هذا وبين قوله في حديث انس فربطه بالحلقة
التي كانت تربط بها الانبياء **قلت** المراد من الحلقة
الموضع الذي كان فيه الحلقة وقد استد فخرقه جبريل عليه
السلام انتهى وهذا الجمع لا يصح لان الحلقة وموضعها بالباب والذي
خرقه جبريل باصبعه انما هو الصخرة وهي داخلة في المسجد بعيدة

عن الباب والاولى ما قاله بعضهم في الجمع انه صلى الله عليه وسلم
ربطه اولا بالحلقة تأدبا واتباعا للانبيا فاخذه جبريل
وحله من الحلقة وخرق الصخرة وشده بها تأكيدا يقول انت
لست ممن يكون مركوبه بالباب بل انت اعلى واغلى فلا يكون
مركوبك الا في داخل المحل وهذا ايضا مشهور في العادة بين الكبرا

الوجه الخامس عشر في صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبيا
ببيت المقدس تظافرت الروايات انه صلى الله عليه وسلم
صلى بالانبيا في بيت المقدس قبل العروج وهو احد احتمالين
للقاضي عياض وقال الحافظ ابن حجر انه الاظهر والاحتمال
الثاني انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم بعد ان هبط من السما
فهبطوا ايضا وصححه الحافظ ابن كثير وقال بعضهم
وما المانع من انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم مرتين فان
في بعض الاحاديث ذكر الصلاة بهم بعد ذكر المعراج
وهذه الصلاة التي صلاها النبي صلى الله عليه وسلم
بالانبيا صلى الله عليهم وسلم الصواب انها الصلاة المعهودة
ذات الركوع والسجود لان الشرع يحمل على حقيقته الشرعية
قبل اللغوية الا اذا تعذر حمله على الشرعية ولم يتعذر
هنا فوجب حمله على الشرعية ويؤيده ما في القصة
فاخذ جبريل بيده فقدمه فصلى بهم ركعتين والظاهر
انها كانت فريضة وابطل بعضهم بقوله في بعض طرق
القصة ثم اقيمت الصلاة فأممتهم وفي رواية فاذن
جبريل فالاذان والاقامة يؤذنان بانها فريضة
ولا يشكل على هذا ان بدء الاذان انما كان بعد الهجرة لانه

لامانع

لا مانع من وقوعه ليلة الاسرا قبل مشروعية الصلوات
الخمس وعلى كونها فريضة قال بعضهم كانت الصلاة
التي صلاها العشا وقال بعضهم انها الصبح قال بعض
المتأخرين وليسا بشي سوا قلنا صلى بهم قبل العروج او
بعده لان اول صلاة صلاها النبي صلى الله عليه وسلم من
الخمس مطلقا الظهر بمكة بالاتفاق ومن حمل الاولية
على مكة فعليه الدليل والذي يظهر والله تعالى اعلم انها
كانت من النفل المطلق او كانت من الصلاة المفروضة
عليه قبل ليلة الاسرا وفي فتاوى النووي ما يؤيد
الثاني وهل قرا فيها بام القران لمقتضى قوله صلى الله
عليه وسلم لا تجزي صلاة لا يقرا فيها بام القران او كان
ذلك قبل مشروعية هذا الحكم محل نظر وقال بعضهم
لم يرد في تعيين القراة في تلك الصلاة شي ما وقفت عليه
خبر صحيح او حسن يعتمد وفوق كل ذي علم عليم انتهى قال
بعضهم ورؤيته صلى الله عليه وسلم للانبيا وصلاته
بهم ببيت المقدس يحتمل انها كانت للارواح خاصة
وانها تشكلت بصور اجسادها في علم الله تعالى ويؤيده
ما في حديث ابي هريرة عند الحاكم والبيهقي فلقي ارواح
الانبيا ويحتمل الاجساد بالارواح ويؤيده حديث
عبد الرحمن بن هاشم عن انس عند البيهقي وبعث الله
ادم فمن دونه من الانبيا وعند البزار والطبراني
فنشر لي الانبيا من سمى الله تعالى ومن لم يسم فصليت بهم
واما رؤيته لهم في السما فمحمولة على رؤية ارواحهم وانها

تشكلت بصور اجساد ثم الاعنى صلى الله عليه وسلم الماصح انه
رفع بجسده وكذلك ادارس ايضا والخضر لجسادهم للاقا
صلى الله عليه وسلم تشريفا له وتكريما وقد انكر حذيفة بن
اليمانى رضي الله عنه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس
تلك الليلة واحتج بانه لو صلى فيه لكتبت عليكم الصلاة فيه
قال البيهقي وابن كثير والمثبت مقدم على النافي يعني من
اثبت الصلاة ببيت المقدس وهم الجمهور من الصحابة
معهم زيادة علم على من نفى ذلك فهو اولى بالقبول واما
ما احتج به فيجاب عنه بمنع التلازم بين الصلاة والكتابة
ان كان اراد بقوله كتب عليكم الفرض وان اراد التشريع
فنلتزمه وقد شرع النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة في
بيت المقدس فقرنه بالمسجد الحرام ومسجده في شد الرحال
وذكر فضل الصلاة فيه في غير ما حديث فان قيل
كيف تصلي الانبياء وهم اموات وليسوا في دار عمل واجيب
بانهم كالشهداء بل افضل منهم احياء في قبورهم يصلون ويحجون
كما ورد في الحديث الآخر فلا يستبعد ان يتقربوا الى الله تعالى بما
استطاعوا لان البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا في استكثارهم فيه من
الاعمال وزيادة الاجور وان المنقطع عنهم بالموت هو التكليف
وقد تفعل الاعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها والخضوع
لله تعالى كما جاء في الحديث ان اهل الجنة يلهمون التسبيح كما يلهمون
النفس وهو معنى قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وكما ورد
انه يقال للقارئ اقرأ وارق وانظر الى سجود النبي صلى الله
عليه وسلم وقت الشفاعة اليس ذلك عبادة وعملا وعلى كل حال

لا يمتنع

لا يمتنع حصول مثل الاعمال في مدة البرزخ لان الانبياء لم ينقضوا
حتى يخيروا بين البقاء في الدنيا وبين الآخرة فاختاروا
الآخرة ولا شك انهم لو بقوا في الدنيا لازدادوا من الاعمال
الصالحة فلو كان انتقالهم من هذه الدار يفوت عليهم زيادة
بما يتقرب الى الله تعالى لما اختاروه **الوجه السادس**
عشر تقدم الآنية هل كان قبل العروج او بعده وفي
عددها فاكثر الروايات انه كان قبله وفي بعضها
انه بعده ففي رواية بعد ذكر رؤيته ابرهيم في السما
السابعة ثم انطلقنا فاذا نحن بثلاثة آنية مغطاة
وفي رواية كان ذلك بعد ان رفعت له سدرة المنتهى
وفي رواية كان ذلك بعد رؤيته للبيت المعمور قال
ابن كثير وغيره ولعله قدم مرتين لانها ضيافة له صلى
الله عليه وسلم وتبعهم على ذلك الحافظ ابن حجر جمعا
بين الروايات قاله ابن كثير وابن حجر واما الاختلاف
في عدد الآنية وما فيها فيحمل على ان بعض الرواة ذكر
ما لم يذكر الآخر ومجموعها اربعة آنية فيها اربعة اشيا
من الانهار الاربعة التي تخرج من اصل سدرة المنتهى
واذا قلنا بعرض الآنية مرتين فغاية عرض الخمر
مع اعراضه عنه في المرة الاولى تصويب جبريل له
تكرير التصويب والتحذير مما سواه وهل كانت الخمر
من خمر الجنة او من جنس خمر الدنيا فان كان الاول فسبب
تجنبها صورتها ومشابهتها للخمر المحرمة اي في علم الله او
مالا ويكون ذلك ابلغ في الورع والادب وان كان الثاني فاجتنابها

واضح لكن كانت الخمر اذ ذاك مباحة لانها انما حرمت بالمدينة
والاسرا كان بمكة فوجه تعيينه صلى الله عليه وسلم اللبن
دون غيره من الاشيا المباحة التي قدمت له وعد ذلك
صوابا وعد ذلك الاخر خطا مع انهما سوا في الاباحة
ان يكون فعل ذلك تورعا وتمرينا بانها ستحرم وانه
لما فوض الامر الى اجتهاده صلى الله عليه وسلم وسداد
نظر المعصوم اداه اجتهاده الى تحريم الخمر وعلمه
اللبن فوافق الصواب في علم الله تعالى ولذلك قال له جبريل
اصبت الفطرة اي اخترت اللبن الذي عليه بنيت الخلقة
وبه ينبت اللحم ويشتد العظم او اخترته لانه الحلال
الدايم في دين الاسلام بخلاف الخمر فحرام فيما يستقر
عليه الامر وقال النووي المراد بالفطرة هنا
الاسلام والاستقامة قال ومعناه والله اعلم اخترت
علامة الاسلام والاستقامة قال وجعل اللبن
علامة لكونه سهلا طيبا طاهرا سايغا للشاربين
سليم العاقبة واما الخمر فانها ام الخبايث وجالبة
لانواع الشر في الحال والمال انتهى وقال القرطبي
يحتمل ان يكون سبب تسمية اللبن فطرة لكونه اول شي يدخل
جوف المولود ويشق امعاه والسر في ميل النبي صلى الله
عليه وسلم اليه دون غيره لكونه مالوفا له اولا انتهى ويستفاد
من التعليل المتقدم في سبب تجنبه صلى الله عليه وسلم
للخمر ومنعها انها الخمر المحرمة ان من ادار ريحان
الاشربة كادارة الخمر وشبهه بالهيات التي يتعاطاها

اهل

اهل الشهوات من الاجتماعات والالات فقد اتى منكرا
وحرم ذلك عليه وان كان لا يحد به وقد ذكر اصحابنا
ان ادارة كاس الما على شاربيه لتشبيهها بشاربي الخمر
حرام يعزر فاعله **الوجه السابع عشر** ظاهر
قوله في القصة ثم اتي بالمعراج ان العروج كان لا على البراق
وفي ذلك خلاف قال الحافظ ابن كثير انه لما فرغ
صلى الله عليه وسلم من امر بيت المقدس نصب له المعراج
وهو السلم فصعد فيه الى السما ولم يكن الصعود على البراق
كما قد يتوهمه بعض الناس بل كان البراق مربوطا على
باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه الى مكة وقال
الحافظ السيوطي رحمه الله انه الصحيح الذي تقرر من
الاحاديث الصحيحة انتهى ملخصه اعلم انه قد ورد ان
بين الدرجة والدرجة في الجنة خمسماية عام وان الدرجة
تبسط كالارض ليصعد عليها ولي الله تعالى ثم ترتفع به الى
مكانها والظاهر كما قاله بعضهم ان درج المعراج كذلك
والله اعلم **واما الحكمة** في الاسرا به صلى الله عليه وسلم
الى بيت المقدس اولا قبل العروج به الى السما فقد تقدم الكلام
عليها عند الكلام على الاية انفا **الوجه الثامن
عشر** قال ابن المنير ذكر ابن حبيب ان بين السما والارض
بحرا يسمى المكفوف تكون بحار الدنيا بالنسبة اليه
كالقطرة في البحر المحيط فعلى هذا يكون ذلك البحر
انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم تلك الليلة حتى جاوزه
وهو اعظم من انفلاق البحر لموسى صلى الله عليهما وسلم

الوجه التاسع عشر في قدر ما بين السما والارض
روى الامام احمد وابن خزيمه في صحيحه وغيرهما عن العباس رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتدرون كم بين السما والارض قلنا الله ورسوله اعلم قال بينهما خمسمائة سنة ومن كل سما الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سما خمسمائة سنة وفوق السما السابعة بحر بين اعلاه واسفله كما بين السما والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السما والارض ثم فوق ذلك العرش من اسفله واعلاه كما بين السما والارض ثم الله تعالى فوق ذلك اي سلطانه وملكه وعظمته وروى الطبراني في الاوسط وابن راهويه وغيرهما عن الربيع بن انس قال السما الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضا والثالثة حديد والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمرا انتهى وابن ابي حاتم وما فوق ذلك صحاري من نور ولا يعلم ما فوق ذلك الا الله سبحانه وتعالى وملك موكل بالحجب يقال له سطاطروش وروى ابو الشيخ وابن ابي حاتم عن كعب قال السما اشد بياضا من اللبن واخضرت من خضرة جبل قاف وقوله في الحديث المتقدم من موج مكفوف الموج ما ارتفع من فوران الما والمكفوف المحبوس **الوجه العشرون** استفتاح جبريل ابواب السما الاشبه كما قال الحافظ ابن حجر انه كان يقرع لان صوته معروف ويويده كما

قال

الدبناصر

قال بعضهم ما في بعض الروايات فقرع الباب وقال ابن دحية في استفتاح جبريل لابواب السما دليل على انه صادف ابوابها مغلقة وانما لم تهيا للنبي صلى الله عليه وسلم بالفتح قبل مجيئه وان كان ابلغ في الاكرام لانه لو رآها مفتحة لظن انها لا تزال كذلك ففعل ذلك ليعلم ان ذلك فعل من اجله تشريفا له ولان الله تعالى اراد ان يطلعه على كونه معروفا عند اهل السموات ولذلك لما سالوا جبريل عمن معه فقال محمد فقالوا ابعث اليه ولم يقولوا ومن محمد مثلا ولما قيل لا بسن الوجي بعد القرع من هذا قال جبريل فسمى نفسه لانه كان معروفا عندهم ولم يرد ان احدا من الملكة يسمى جبريل غيره ولم يقل انا لئلا يلتبس بغيره ولان فيها اشعارا بالعظمة وفي الكلام السائر اول من قال انا ابليس فشقي حيث قال انا خير منه وقالها فرعون فتعس حيث قال انا ربكم الاعلى ولان انا مبهمة لا تفيد السامع الا العودة عن كافية في البيان والمستاذن محجوب عن المستاذن عليه غير متبين عنه فكانه احاله على جهالة وعلى هذا فينبغي للمستاذن اذا قيل له من انت لا يقول انا بل يقول فلان لان النبي صلى الله عليه وسلم انكر على الذي استاذن عليه فقال من هذا الحمل يقول انا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا انا كانه كره ذلك ولما سمى جبريل نفسه لم فتحوا ابواب السما ولم يتوقفوا للمراجعة في امره فانه معهود عندهم نزوله

وصعوده ولذلك قدم نفسه لانه الرسول لاحمامن
صلى الله عليه وسلم

الوجه الحادي والعشرون

قول الخازن لجبريل من معك يشعر بانهم احسوا معه
برفيق اذ لو لا ذلك لكان السؤال امعك احد وذلك الاحساس
اما بمشاهدة لكون السما شفافة واما لامر معنوي
بزيادة انوار وفي قول جبريل حين سئل عمن معه
فقال محمد دليل على ان الاسم ارفع من الكنية لانه اخبر
باسمه ولم يخبر بكنيته وهو صلى الله عليه وسلم مشهور
في العالمين العلوي والسفلي فلو كانت الكنية ارفع من
الاسم لاخبر بكنيته وقول الخازن وقد بعث اليه
اراد الاستفهام فحذف الهمزة للعلم بها اي او قد
بعث اليه قال العلما ليس هذا استفهاما عن اصل
البعث الذي هو الرسالة لانه كان مشهورا في الملكوت
الاعلى بل البعث للعراج وقيل بل سألوا تعجبا من
نعمة الله تعالى عليه بذلك او استبشارا به وقد
علموا ان بشرا لا يترقى هذا الترقي الا باذن الله تعالى
وان جبريل لا يصعد بمن لا يرسل اليه وقال ابن
ابي جمرة استفهام الملكة بقولهم وقد ارسل اليه فيه
دليل على ان اهل العالم العلوي يعرفون رسالته
ومكانته لانهم سألوا عن وقتها على حال لا عنها ولذلك
اجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم المجيء جا فكلامهم بهذه
الصيغة ادل دليل على ما ذكرناه من معرفتهم بجلالة
مكانته وتحقيق رسالته لان هذا اجل ما يكون من

حسن

حسن الخطاب والترفيع على المعروف من عادة العرب
وقد قال بعض العلما في معنى قوله تعالى لقد راى من ايات
ربه الكبرى انه راى صورة ذاته المباركة في الملكوت
فاذا هو عروس المملكة وانما اتى الخازن بصيغة الغيبة
في قوله مرحبا به ولم يخاطبه بقوله مرحبا بك لان
ذلك كان قبل ان يفتح الباب وقبل ان يصدر من
النبي صلى الله عليه وسلم كلام معه وخطاب والخطاب
والكلام انما كان مع جبريل بالسؤال والجواب فارتفع
حكم الغيبة بالتخاطب من الجانبين ويجوز ان يكون الخازن
انما جاء بغير صيغة الخطاب تعظيما له لان ما الغيبة
ربما كانت افخم من كاف الخطاب وفي قول الخازن
مرحبا به الى آخره دليل على ان الحاشية اذا فهموا
من سيدهم عزا واكراما لوافد ان يبشروه بذلك
وان لم ياذن لهم فيه ولا يكون في ذلك افتيات للسر بل هو
من تعجيل البشرى

الوجه الثاني والعشرون

في الكلام على لقيه لادم صلى الله عليهما وسلم في السما الدنيا
وما وقع له معه وما راه عنده ففي سلامه على آدم
دليل على ان السنة ان القادم يبدا بالسلام على المقيم
والمار على القاعد لانه صلى الله عليه وسلم كان مارا على
ادم عليه السلام وفي رد آدم عليه السلام وقوله
له مرحبا دليل على انه لا يشرع في رد السلام غير الصيغة
المعروفة لانه لم يقل له مرحبا الا بعد رد السلام عليه
على ما جا في الصحيح فرد عليه السلام ثم قال مرحبا ❁

ها الغيبة افخم من كاف الخطاب

وظاهرهما في القصة انه سال عنه بعد ان قال له آدم
مرحبا ورواية مالك بن صعصعة بعكس ذلك
وهي المعتمدة فتحمل هذه عليها وليس في رواية ابي ذر
ترتيب وفي قول ادم مرحبا بالابن الصالح اشارة
الى افتخاره بابوة النبي صلى الله عليه وسلم وفي قول
له الابن الصالح والنبي الصالح تبجيل للنبي صلى الله
عليه وسلم ووصفه بالصلاح مكررا مع النبوة اي
صالح في الكتبين جميعا وفيه تنويه بفضيلة الصلاح
ولهذا وصف به النبي صلى الله عليه وسلم واقتصر الانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم الذين اجتمع بهم ورآهم في
السموات تلكا الليلة على وصفه صلى الله عليه وسلم
بالصلاح وتواردوا عليه وكون كل منهم عده وصفه
بالنبوة او الاخوة والنبوة لان الصلاح يشمل خلال
الخير والصالح هو الذي يقوم بما يلزمه من حقوق الله
تعالى وحقوق العباد فمن ثم كانت كلمة جامعة لمعانيه شاملة
لسائر الخلال المحمودة ولذا لم يقل له احد مرحبا بالنبي الصادق
ولا بالنبي الامين قاله بعضهم وصلاح الانبيا صلاح خاص لا يساوي
عموم الصالحين واحتج على ذلك بانه قد تمنى بعض الانبيا
ان يلحق بالصالحين ولا يتمنى الاعلا اللحاق بالادنى ولاخلاف ان
النبوة اعلا من صلاح الصالحين من الامم فهذا يحقق ان الصلاح
المضاف الى الانبيا غير الصلاح المضاف الى الامم وصلاح
الانبيا صلاح كامل لانهم يزول بهم كل فساد فلهم
كمال الصلاح ومن دونهم الامثل فالامثل فكل واحد يستحق

ام

تفسير الصلاح

اسم الصلاح على قدر ما زال به او منه من الفساد وظاهر
قوله فيرى ادم تعرض عليه ارواح ذريته الخ ان ارواح
بني ادم من اهل الجنة او النار في السما قال القاضي وهو
مشكل فقد جا ان ارواح المومنين منعمة في الجنة
وان ارواح الكفار في سجين فكيف تكون مجتمعة
في السما واجاب بانه يحتمل انها تعرض على ادم اوقاتا
فما وافق وقت عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم
ويدل على كونهم في الجنة والنار انما هو في اوقات دون
اوقات قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
واعترض بان ارواح الكفار لا تفتح لها ابواب السما
كما هو نص القران واجيب عنه بما ابداه القاضي
احتمالا بان الجنة كانت في جهة يمين ادم والنار في
جهة شماله وكان يكشف له عنهما قاله الحافظ
ابن حجر ويحتمل ان النسم المرئية هي التي لم تدخل الاجساد
بعد وهي مخلوقة قبل الاجساد ومستقرها عن
يمين ادم وشماله وقد اعلم بما سيصيرون اليه
فلذلك كان يستبشر اذا نظر الى من عن يمينه
ويحزن اذا نظر الى من عن شماله بخلاف التي في
الاجساد فليست مرادة قطعا وبخلاف التي نقلت
من الاجساد الى مستقرها من الجنة والنار فليست
مرادة ايضا فيما يظهر وبهذا يندفع الايراد ويعرف
ان قوله نسم بنيه عام مخصوص او عام اريد به الخصوص
قال وظهر احتمال اخر وهو ان يكون المراد بها من

قال البلقيني الصلاة ثلاثة اقوال وهو...

خرجت من اجسادها حين خروجها لانها غير مستقرة
ولا يلزم من رؤية ادم لها وهو في السما الدنيا ان تفتح لها
ابواب السما ولا تلجها لانها تعرض عليه وتكشف له من بعد فا
ورؤيته لاكلي الربا ومن ذكر معهم يحتمل انها رؤية
لحال ارواحهم في البرزخ بعد الموت وفي ذلك تصحيح لمن
قال الارواح اجساد لطيفة قابلة للتنعيم والعذاب
ويحتمل ايضا ان تكون مثلت له حالهم في الاخرة

الوجه الثالث والعشرون

في الكلام على رؤيته للانبيا المذكورين في السموات وفي حكمة اختصاص كل نبي في السما التي لقيه فيها وفي حكمة رؤيته لهولا الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم دون غيرهم من الانبيا وقد اختلفت الروايات في شان ذلك الانبيا في السموات ففي رواية الزهري عن انس عن ابي ذر قال فذكر انه وجد في السموات ادم وادريس وموسى وعيسى وابرهيم ولم يثبت كيف منازلهم وذكر ان ابرهيم في السادسة وفي سياق الزهري في روايته عن انس عن ابي ذر انه لم يثبت اسمائهم وسياق سرك فيه انه لم يضبط منازلهم ووقع في رواية ان ادريس في الثالثة وهرون في الرابعة ورواية قتادة عن انس عن مالك بن صعصعة عند البخاري فيها ضبط لمنازلهم كما هو مذكور في سياق القصة انفا وكا ستكلم عليه في حكمة ذلك ولا شك ان رواية من ضبط اولى لا سيما وقد وافق قتادة في روايته المذكورة ثابت البناني عن انس عند مسلم ووافقهما يزيد بن

ابي

ابي مالك عن انس الا انه خالف في ادريس وهرون فقال هرون في الرابعة وادريس في الخامسة ووافقهم ابو سعيد الا ان في روايته يوسف في الثانية وعيسى ويحيى في الثالثة والرواية الاولى المذكورة اثبت وقد اختلف المتكلمون على حديث الاسرا في الحكمة في اختصاص كل واحد من الانبيا بالسما التي راه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لاحكمة وان الانبيا المذكورون لما علموا بقدومه ابتدروا الى لقائه ابتدار اهل الغايب للغايب القادم فمنهم من اسرع وسبق ومنهم من ابطا ولحق ومنهم من فاته ومذا قاله ابن بطال وزيفه السهيلي فاصاب وقيل بل لذلك حكمة اي حكمة وهو التنبيه على الحالات الخاصة بهولا الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وتمثيل ما سيقع للنبي صلى الله عليه وسلم مع قومه من نظير ما وقع لهم واتفق ما قصه الله تعالى عنهم في كتابه والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفال الحسن ويستدل به على حسن العاقبة والفال في اليقظة نظير الرويا في المنام فيكون تعبير الفال ببيان ما يدل عليه بلفظه كتعبير الرويا واهل التعبير يقولون من راى نبيا من الانبيا بعينه في المنام كان رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبي من شدة او رخا او غير ذلك من الامور التي اخبر بها عن الانبيا في القران او الحديث وهذا قاله السهيلي وتبعه غيره عليه لحكمة رؤيته

لآدم في السماء الدنيا لأنه أول الأنبياء وأول الآباء وهو الأصل فكان
الأول في الأولى ولأجل تأنيس النبوة بالأبوة في أول انتقاله إلى
العالم العلوي وقد وقع التنبيه به بما سيقع له صلى الله عليه وسلم
من نظير ما وقع لآدم فإنه كان في أمن الله وجواره في الجنة فأخرجه عدوه
إبليس منها وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبي
صلى الله عليه وسلم وهي هجرته إلى المدينة وخروجه من
حرم الله وجوار بيته وكان أعداؤه سبب خروجه
لما اشتد عليهم أذاه وتواطئهم على ذلك وهمهم بقتله فكربه
ذلك وغمه وشق عليه لفراق ما ألفه ووطنه كما وقع لآدم
عند خروجه من الجنة من الكرب والغم والبكاء على فراقها فقد
حكي أن بعض السادة رأى آدم صلى الله عليه وسلم في المنام
فقال لذاك أبو البشر يبكي على مغنى رقة دار من الجنة.

فأنشد

شغفت بجار لا بدار ألفتها • على الجار أبكي لا على فرقة الدار

والحاصل أن الجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة
فراق ما ألفه من الوطن ثم كان لكل منهما أن يرجع إلى الوطن الذي خرج منه
وحكمة رؤيته ولقيه لعيسى ويحيى في السماء الثانية
لأنهما الممتحنان باليهود أما عيسى فكذبته اليهود وآذوه
وهموا بقتله فرفعه الله وأما يحيى فقتلوه فنبه به
الإشارة إلى نظير ما وقع له صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله
إلى المدينة فصار إلى حالة ثانية من الامتحان وكانت
محنته فيها باليهود آذوه وعادوه وهموا بإلقاء الصخرة
عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجا عيسى منهم ثم سموه في الشاة

فلم

فلم تزل تلك الأكلة تعاوده حتى قطعت أبهره كما قال عند
الموت وأيضا فعيسى كانت حالته ومقامه مع الجمع من بني
إسرائيل والصبر على عداوة اليهود وحيلهم ومكرهم وطلب
الانتصار عليهم بقوله من أنصاري إلى الله أي مع الله قال
الحواريون نحن أنصار الله وكانت حالته صلى الله عليه وسلم
في السنة الثانية من الهجرة نظير ذلك طلب الأنصار للخروج
إلى بدر العظمى فأجابوه ونصروه وحكمة رؤيته ليوسف
صلى الله عليهما وسلم في السماء الثالثة للإشارة إلى حالة ثالثة
تشبه حالة يوسف وما جرى له مع إخوته الذين أخرجوه
من بين أظهرهم ثم ظفر بهم فصفح عنهم وقال لا تثريب
عليكم اليوم وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم جرى له مع
قريش نصبوا له الحرب وأرادوا هلاكه وكانوا سببا في
إخراجه من بين أظهرهم ثم ظفر بهم في غزوة الفتح فصفح
عنهم وقال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم
وأيضا مناسبة لقيه له في السماء الثالثة أن الثالثة
من سني الهجرة وقعت فيها غزوة أحد وما اتفق فيها من
المناسبة شيوع قتل النبي صلى الله عليه وسلم فناسب ما حصل
للمسلمين من الأسف على فقد نبيهم ما حصل ليعقوب من الأسف
على يوسف لاعتقاده أنه فقد إلى أن وجده بعد تطاول الأمد
ومن المناسبة أيضا بين القصتين أن يوسف عليه السلام
كيد وألقي في غيابة الجب حتى استنقذه الله تعالى على يد من
شاء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وقع له في غزوة أحد أن
أكب الحجارة على جبهته من قريش حتى سقط لجنبه في حفرة

كان ابو عامر الفاسق قد حفرها مكيدة للمسلمين فاخذ علي كرم
الله وجهه بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتضنه طلحة
حتى قام وفي رواية مسلم انه صلى الله عليه وسلم لما اخبر برؤية
يوسف صلى الله عليه وسلم في الثالثة قال فاذا هو قد اعطي
شطر الحسن وفي رواية البيهقي وغيره فاذا انا برجل
احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر
على سائر الكواكب فان قيل هذا يدل على ان يوسف كان
احسن من جميع الناس اجيب بان الترمذي روى
من حديث انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن
الصوت وكان نبيكم احسنهم صوتا واحسنهم وجها فيحمل
ما في حديث المعراج من قوله اعطي شطر الحسن واحسن
ما خلق الله الى اخره على غير نبينا عليه الصلاة والسلام وحمل
بعضهم قوله اعطي شطر الحسن على ان المراد ان يوسف
اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم
وفيه نظر لان حقيقة الحسن الكامل كانت فيه لانه الذي
تم معناه دون غيره لانه غير منقسمة بينه وبين غيره والا لما
كان حسنه تاما لانه اذا انقسم لم ينله الا بعضه فلا يكون تاما
ولله در الابوصيري حيث اشار الى ذلك بقوله في البردة

فهو الذي تم معناه وصورته ... ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك في محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وقد قال العلماء ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم
الايمان بان الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على
وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق ادمي مثله فيكون ما نشاهده من

خلق

خلق بدنه ايات على ما ينطوي من عظيم خلق نفسه الكريمة وما ينطوي
من عظيم اخلاق نفسه ايات على ما تحتوي له من سر قلبه المقدس
وقد حكى القرطبي في كتاب الصلاة عن بعضهم انه قال لم يظهر لنا تمام
حسنه صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لما اطاقت اعيننا
رؤيته صلى الله عليه وسلم ولقد احسن الابوصيري حيث قال

اعيى الورى فهم معناه فليس يرى ... للقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد ... صغيرة وتكل الطرف من امم

وهذا مثل قوله ايضا

انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء

والتشبيهات
الواردة في حقه صلى الله عليه وسلم كما في قوله كالشمس تظهر الخ
وقوله كما مثل النجوم الماء ونحو ذلك انما هي على سبيل التقريب والتمثيل
والا فقد اتاه اعلا واغلا وحكمة رؤيته لادريس عليه الصلاة
والسلام في السماء الرابعة وهو المكان الذي رفعه الله اليه وسماه مكانا
عليا للايذان بحالة رابعة وهي علو شانه ومنزلته صلى الله عليه
وسلم وللاشارة الى اعلام صلى الله عليه وسلم لخصائصه فان
المنقول ان ادريس اول من كتب بالقلم وانتشر منه بعده في اهل
الدنيا وكتب الى الملوك يدعوهم الى التوحيد وقاتل بني قابيل فكذلك نبينا
صلى الله عليه وسلم كتب عنه بالقلم الى ملوك الافاق وعند استفحال الاسلام
يدعوهم للطاعة وخافته الملوك حتى قال ابو سفيان بن حرب وهو
عند ملك الروم هرقل حين جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وراى ما راى من خوف هرقل لقد امر امر ابن ابي كبشة
حتى اصبح يخافه ملك بني الاصفر فمن الملوك المكتوب اليهم من
اتبعه على دينه كالنجاشي وملك عمان ومنهم من رضا دينه واهدى

اعد الكاتب والخاتم

اليه كهرقل والمقوقس ومنهم من تعمّى عليه فاظفره الله به فهذا مقام
علي وحظ بالمقام كنحو ما ادى ادريس صلى الله عليه وسلم وقوله في
ادريس قد رفعه الله مكانا عليا مع انه رأى موسى وابرهيم في
مكان اعلا من مكان ادريس فذلك والله اعلم لما ذكر عن كعب الاحبار
ان ادريس خص من بين جميع الانبيا بانه رفع قبل وفاته الى السما
الرابعة رفعه ملك كان صديقا له وهو الملك الموكل بالشمس
وكان ادريس سأله ان يريه الجنة فاذن الله له في ذلك فلما كان
في الرابعة رآه هناك ملك الموت فتعجب وقال امرت ان اقبض
روح ادريس في السما الرابعة فقبضه هناك ثم رفعه حيا الى
ذلك المقام خاصة به دون الانبيا قاله السهيلي وقال
البدر العيني في شرح البخاري فان **قلت** قال بعضهم ان
ادريس في الجنة يدل عليه قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا قيل
المكان العلي هو الجنة **قلت** سمعت بعض مشايخي الثقات
ان ادريس لما اخبر بعروج النبي صلى الله عليه وسلم استاذن ربه
ان يستقبله فاذن له فاستقبله ولقيه في السما الرابعة انتهى
فان كان ادريس اختص بانه ادخل الجنة فقد شاركه النبي صلى
الله عليه وسلم في ذلك وزاد عليه بانه دخلها حيا وادريس
انما دخلها بعد ان مات بل زاد عليهما صلى الله عليهما وسلم في الارتفاع
الى اعلا الجنان وارفع الدرجات وهذا غاية البيان فيما نحن
بصدده من المناسبة وقول ادريس له مرحبا بالاخ الصالح
استشكل بانه اب من اباء النبي صلى الله عليه وسلم وانه جد
اعلا لنوح فكيف خاطبه بالاخ ولم يخاطبه بالابن كما قال ادم
وابرهيم عليهما الصلاة والسلام واجيب بانه قد قيل عن

ادريس

ادريس انه الياس وانه ليس بجد لنوح ولا هو في عمود النسب وقال
النووي ليس في ذلك ما يمنع كون ادريس ابا لنبينا صلى الله
عليه وسلم فان قوله الاخ الصالح قاله تلطفا وتادبا وهو اخ
وان كان ابنا والانبيا اخوة والمومنون اخوة وقال
ابن المنير اكثر الطرق على انه خاطبه بالاخ وقال لي ابن ابي
الفضل صحت لي طريق انه خاطبه فيها بالابن الصالح قال
بعضهم وفي صحة ذلك نظر **وحكمة** رويته لهرون
صلى الله عليهما وسلم في السما الخامسة للايذان باحرازه
حظا يعمه والزيادة عليه فرجحا بعض هرون عليه السلام
فصاحة اللسان وقد وصفه موسى عليه السلام بذلك
فقال هو افصح مني لسانا الاية وقد حاز نبينا صلى الله عليه وسلم
المرتبة العليا من الفصاحة ولا خفا بان افصح اللغات لغات العرب
وغاية لسان هرون وفصاحته في العبرانية والعربية
افصح منها ثم هو صلى الله عليه وسلم افصح من نطق بالضاد من بين
اهل اللغة العربية ولان هرون كان محببا في قومه فيوازن
بحب قريش وجميع العرب له صلى الله عليه وسلم بعد بغضهم
فيه وللاشارة الى حصول حالة له صلى الله عليه وسلم تشبه حالة
حصلت لهرون عليه السلام مع بني اسرايل مما ناله منهم من
الاذا ثم الانتصار عليهم والايقاع بهم وقصر التوبة فيهم على
القتل دون غيره من العقوبات المحطة عنه وذلك ان
هرون عندما تركه موسى في بني اسرايل وذهب لموعد
المناجاة تنمروا على هرون وتحزبوا عليه وداروا
حوله لقتله ونقضوا العهد واخلفوا الوعد واستضعفوا

عليه

جانبه كما حكى الله ذلك عنهم وكانت الجناية العظمى التي صدرت
منهم عبادة العجل فلم يقبل الله منهم التوبة الا بالقتل فقتل
في ساعة واحدة سبعون الفا فكان نظير ذلك في حقه صلى
الله عليه وسلم ما لقيه في السنة الخامسة من الهجرة من
يهود قريظة والنضير وقينقاع فانهم نقضوا العهد
وحزبوا الاحزاب وجمعوها واظهروا عداوته صلى الله
عليه وسلم وارادوا قتله وذهب اليهم قبل الوقعة بزمن
يسير ليستعين بهم في دية قتيلين فاظهروا اكرامه واجلسوه
تحت جدار ثم تواعدوا ان يلقوا عليه رحى فنزل جبريل عليه
السلام فاخبره بمكرهم الذي هموا به فمن حينئذ عزم على
حربهم وقتلهم وفعل الله تعالى ذلك وقتل قريظة ٭
بتحكيمهم سعد بن معاذ فقتلوا شر قتلة وحاق المكر
السيء باهله ونظير استضعاف اليهود لهرون
استضعافهم المسلمين في غزوة الخندق وحكمة
رؤيته ولقيه لموسى صلى الله عليه [illegible] في السما السادسة
للايذان بحصول حالة له صلى الله عليه [illegible] سلم تشبه حالة موسى
ما وقع له من معالجة قومه وقد اشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم
بقوله لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر وللاشارة الى
مناسبة اخص تتعلق برؤيته له في السادسة وذلك
ان موسى اراد ان يقيم الشريعة في الارض المقدسة وحمل
قومه على ذلك فتقاعدوا عنه وقالوا ان فيها قوما جبارين
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها وفي الاخر سجلوا بالنكوص
فقالوا انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فغضب عليهم

وحال

وحال بينهم وبينها واوقعهم في التيه وآل الامر الى
قهر الجبابرة واخراجهم من ارضهم وكذلك اراد النبي
صلى الله عليه وسلم في تلك السنة ان يدخل بمن معه مكة
يقيم بها شريعة الله وسنة ابرهيم فصدوه فلم يدخلها
في هذا العام ثم دخلها في العام القابل وآل امره
صلى الله عليه وسلم الى ان فتح مكة وقهر المتجبرين والمتمردين
من قريش فكان لقاؤه لموسى تنبيها على التاسي به وحصول
حالة له تشابه حالة موسى صلى الله عليهما وسلم ومما وقع في
القصة من ان موسى لما جاوزه نبينا صلى الله عليهما وسلم
بكى فقيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث من بعدي
يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخل الجنة من امتي فاما
البكا من موسى فقال العلما لم يكن حسدا معاذ الله فان
الحسد في ذلك العالم منزوع عن احاد المومنين فكيف
بمن اصطفاه الله وعصمه بل كان اسفا على ما فات امته
من بني اسرائيل من حظهم من الله عز وجل حيث قل الايمان
فيهم وندر القبول ونشا الطغيان والنكول واسفا
ايضا على ما فات موسى مما فاز به محمد صلى الله عليهما وسلم
من كثرة الاجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع
من امته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص اجورهم
المستلزمة لتنقيص اجوره لان لكل نبي مثل اجر من تبعه
وكان من اتبعه في العدد دون من اتبع نبينا صلى الله عليهما
وسلم مع طول مدتهم بالنسبة الى مدة هذه الامة والبكا على
فوات الحظوظ الاخروية سنة متبعة وعلى مثل هذا يناح

ويبكي دون ذلك فليبنا فسر المتنافسون والظاهر ان القائل لموسى
ما يبكيك هو الله سبحانه وتعالى ويدل على ذلك قوله في الجواب
كما في بعض الروايات رب قال ابن ابي جمرة واما قول موسى
صلى الله عليه وسلم غلام فليس ذلك على سبيل الغضاضة ٥
والتنقيص بل على سبيل التنويه بقدرة الله تعالى وعظيم
كرمه اذ اعطى لمن كان في ذلك السن ما لم يعطه احدا من
قبله ممن هو اسن منه قال الخطابي العرب تسمي الرجل المستجمع
السن غلاما ما دامت فيه بقية من القوة وقال ابن ابي جمرة
العرب انما يطلقون على المرء غلاما اذا كان سيدا فيهم فلاجل
ما في هذه اللفظة من الاختصاص والاشعار بالافضلية
دون غيره من الالفاظ ذكره موسى ولم يذكر غيره تعظيما للنبي
صلى الله عليهما وسلم وقال الحافظ ابن حجر ويظهر لي ان
موسى اشار الى ما انعم الله به على نبينا صلى الله عليه وسلم
من استمرار القوة في الكهولة الى ان دخل في اول سن الشيخوخة
ولم يدخل في بدنه هرم ولا اعترى قوته نقص حتى ان الناس
لما راوه مردفا ابا بكر عند قدومه المدينة اطلقوا عليه اسم الشاب وعلى
ابي بكر اسم الشيخ مع كونه في العمر اسن من ابي بكر وفي امساك موسى
عن البكاء وعن ما وقع منه من الكلام حتى فارقه النبي صلى الله عليهما وسلم
مراعاة لجانب نبينا صلى الله عليه وسلم وتبيان له وادخال السرور
عليه وليتهيأ لذلك بكاؤه وقيل انه بعد النبي صلى الله عليه وسلم
عنه لانه لو كان البكاء مختصا بموسى لم يكن ليبكي حتى يبعد عنه بحيث
لا يسمعه فلما كان المراد به ما ينشا عنه من السرور والبشارة
بكى والنبي صلى الله عليه وسلم منه بحيث يسمع والتبيان من قوله

موسى

موسى يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخل من امتي ونحو ذلك
وقد وقع من موسى العناية بهذه الامة في امر الصلاة ما لم
يقع لغيره ووقعت الاشارة الى ذلك في حديث ابي هريرة ٥
عند الطبراني والبزار كان موسى اشدهم على حين مررت
به وخيرهم حين رجعت اليه وفي حديث ابي سعيد فاقبلت
راجعا فمررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم الحديث

وحكمة رؤيته ولقيه لابراهيم صلى الله عليه وسلم
في السماء السابعة لانه الاب الاخير فناسب ان يتجدد
للنبي صلى الله عليه وسلم بلقيه انس لتوجهه بعده الى
عالم اخر وايضا فمنزلة الخليل تقتضي ارفع المنازل
ومنزلة الحبيب ارفع من منزلته فلذلك ارتفع النبي صلى
الله عليه وسلم من منزلة ابراهيم الى قاب قوسين او ادنى
وللقيه لابراهيم في السابعة مناسبة اخرى اخص من
ذلك وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرة القضا
في السنة السابعة من الهجرة ودخل مكة هو واصحابه
ملبين معتمرين محييا لسنة ابراهيم صلى الله عليهما
وسلم ومقيما لرسمه الذي كانت الجاهلية اماتت ذكره
وبدلت امره وفي بعض الطرق انه راى ابراهيم مسندا
ظهره الى البيت المعمور في السماء السابعة فكان ذلك
والله اعلم اشارة الى انه سيطوف بالكعبة في السنة السابعة
وهو اول دخلة دخلها مكة بعد الهجرة والكعبة في الارض
قبالة البيت المعمور وفي قوله صلى الله عليه وسلم في وصف
البيت المعمور فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الفا من الملئكة

الكعبة في الارض
قبالة البيت المعمور

لا يرجعون اليه الى اخر الدهر اشارة الى انه اذا دخل البيت
الحرام لا يرجع اليه لانه لم يدخله بعد الهجرة الا يوم الفتح ثم لم يدخله
في حجة الوداع **فان قيل** لم لم يراه صلى الله عليه وسلم تلك الليلة
في السما نوحا عليه السلام وهو من اولي العزم **قلت**
سمعت من بعض مشايخي رحمه الله ورحمهم يقول انما لم يره
نوحا ونحوه لانها الليلة رحمة تناسب ان لا يرى فيها من
استوصل قومه بالعذاب وفي سواله صلى الله عليه وسلم
من جبريل عن كل واحد من الانبيا الذين راهم في السموات
بقوله من هذا يا جبريل فيقول هذا ابوك ادم الى اخر
اشكال وهو انه يقال كيف امّ الانبيا في بيت المقدس وسلم
عليهم وعرفهم ثم يسال عنهم تلك الليلة حين راهم في
السموات من جبريل فانه لو راهم وعرفهم قبل ذلك لما احتاج
الى سوال جبريل عنهم ويجاب بانه يحتمل انه راهم ببيت
المقدس على حالة من تصور الارواح بصور الاجساد او من
حضور الاجساد بالارواح ثم لما راهم في السما راهم على حالة غير
التي راهم عليها في الارض فلذلك سال عنهم او انه راهم في
الموضعين على حالة واحدة لكن لما شاهد من تلك الساعة
في الارض ثم راهم في منازلهم في السما سال عنهم تعظيما للقدرة
الالهية واستثباتا لا تعجبا فانه عالم ان الله الذي اصعده
الى هذا المكان في لحظة قادر على نقلهم الى السموات واسرع
من طرفة عين سبحانه وتعالى **الوجه السابع والعشرون** في الكلام على البيت المعمور قال ابو
عبيد ومعنى المعمور الكثير الغاشية ويسمى ايضا الضراح

بعضهم

بضم الضاد المعجمة وتخفيف الرا واخره مهملة وهذا
هو المشهور وما قيل انه بالصاد المهملة فغلط
والضراح لتسمية الملائكة وسمي به لانه ضرح عن
الارض اي بعد وقال مجاهد البيت المعمور هو الضريح
يعني بالمعجمة وهو في اللغة البعيد واكثر الروايات
انه في السما السابعة وروى ابن جرير وغيره والحاكم
وصححه عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البيت
المعمور في السما السابعة يدخله كل يوم سبعون الف
ملك لا يعودون اليه حتى تقوم الساعة وروى
اسحق بن راهويه في مسنده عن علي رضي الله عنه انه
سيل عن البيت المعمور فقال بيت في السما السابعة
بحيال البيت حرمته كحرمة هذا في الارض يدخله
كل يوم سبعون الف ملك ولا يعودون اليه واخرجه
الطبراني من حديث انس مرفوعا واستدل بهذين
الحديثين وغيرهما على ان الملائكة اكثر المخلوقات لانه
لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه كل يوم
سبعون الفا غير ما ثبت في ذلك **واخرج** ابو الشيخ
من طريق الليث قال حدثني خالد بن سعيد قال بلغني ان اسرافيل
موذن اهل السما يسمع تاذينه من في السموات السبع
ومن في الارض الا الجن والانس ثم يتقدم عظيم الملائكة
فيصلي بهم قال وبلغنا ان ميكائيل يوم الملائكة
بالبيت المعمور **فايدة** نقل الحافظ البرهان الحلبي
في نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس ان السلطان

الملائكة اكثر المخلوقات

الطاهر من فوق سال عن البيت المعمور من اي شيء هو قال
فاجاب بعض الحاضرين بانه من عقيق ونقله عن بعض
الثقات انتهى

الوجه الخامس والعشرون

في الكلام على سدرة المنتهى والسدر شجر النبق واحده
سدرة وقيل لها المنتهى لانها ينتهي اليها ما يهبط من فوقها
فيقبض منها واليها ينتهي ما يصعد من الارض كما رواه
مسلم عن عبد الله بن مسعود وقيل غير ذلك قال ابن
دحية اختيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة
اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فكانت
بمنزلة الايمان الذي يجمع القول والعمل والنية فالظل
بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرائحة بمنزلة
القول وقد وقع في حديث ابن مسعود عند مسلم ان
السدرة في السماء السادسة وظاهر حديث انس انها
في السابعة قال القرطبي وهو تعارض لا شك فيه وحديث انس
قول الاكثر وهو الذي يقتضيه وصفها بكونها التي
ينتهي اليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرب ويترجح ايضا
بانه مرفوع وحديث ابن مسعود موقوف قال الحافظ ابن
حجر كذا قال يعني القرطبي ولم يعرج على الجمع بل جزم بالتعارض
ولا يعارض قوله انها في السادسة ما دلت عليه بقية
الاخبار انه وصل اليها بعد ان دخل في السماء السابعة
لانه يحمل على ان اصلها في السماء السادسة واغصانها
وفروعها في السابعة وليس في السادسة منها الا اصل
ساقها قال ابن ابي جمرة والاظهر ان شجرة المنتهى مغروزة

بارض

بارض بدليل قوله ونهران باطنان ولا يطلق هذا اللفظ وما
اشبهه الا على ما يبهم والباطن لا بد ان يكون سر بانه غيبي
وحينئذ يطلق عليه اسم الباطن وقال القاضي عياض رحمه
الله دل الحديث على ان اصل سدرة المنتهى في الارض لكونه
قال ان النيل والفرات يخرجان من اصلها وهما بالمشاهدة
يخرجان من الارض فيلزم منه ان يكون اصل السدرة في الارض
وتعقبه النووي بان المراد بكونهما يخرجان من اصلها غير
خروجهما بالنبع من الارض والحاصل ان اصلها في الجنة
وهما يخرجان اولا من اصل السدرة ثم يسيران الى ان
يستقرا في الارض ثم ينبعان وما وقع في القصة من
قوله واذا في اصلها اربعة انهار نهران باطنان ونهران
ظاهران وقول جبريل لما سئل عنها اما الباطنان فنهران
في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات قال ابن ابي
جمرة في قول جبريل هذا دليل على ان الفرات والنيل
ليسا من الجنة وسدرة المنتهى ليست في الجنة حتى يقال
انهما يخرجان منها بعد نبعهما من السدرة وهذا معارض
لما رواه مسلم عن ابي هريرة مرفوعا سيحان وجيحان
والفرات والنيل كل من انهار الجنة والجمع بينهما والله اعلم
ان الفرات والنيل منبعهما من السدرة واذا نزلا الى الارض
يسلكان اولا على الجنة فيدخلانها ثم بعد ذلك ينزلان
الى الارض انتهى وفيه نظر لان ظاهر قوله يسلكان اولا
على الجنة انهما انما كانا من انهار الجنة باعتبار المرور والسلوك
عليها لا بكونهما داخلا فيها وظاهر الحديث وقول السلف يخالفه

ذلك فقد اخرج الحرث في مسنده والبيهقي في الشعب عن كعب
قال نهر النيل نهر العسل في الجنة ونهر دجلة نهر اللبن ونهر
الفرات نهر الخمر ونهر سيحان نهر الماء وقد استدل على
فضيلة النيل والفرات لكون منبعهما من الجنة وانهما
ينبعان من اصل سدرة المنتهى بخلاف غيرهما وان كان
من انهار الجنة كسيحان وجيحان فلا ينبعان من
اصل السدرة فامتاز النيل والفرات عليهما بذلك
فان قيل قد وردت الاخبار بان من شرب من ماء
الجنة لا يموت ولا يفنى وانه ليس له فضلة تخرج على
ما نعهده في دار الدنيا وانما هو رشحات مسك
على البدن وماء النيل وما ذكر معه من المياه التي ورد
انها من انهار الجنة ليس فيها هذه الاشياء المذكورة
واجيب عن ذلك بان الله تعالى جعل في ماء الجنة
هذه الخاصية العظمى شرفا لما شاءت الحكمة الالهية
بنزوله الى هذه الدار نزعت منه تلك الخصوصية
وبقي جوهره بحاله وكل الجواهر مثله في هذا المعنى
ان شاء الله عز وجل ابقى له الخاصية وان شاء سلبها
مع بقاء جوهرها ليس لذوات الجواهر تأثير بل الخاصة
خلقه والجوهر خلقه وانما القدرة هي المؤثرة في كلها
قاله ابن ابي جمرة واما النهران الباطنان في الجنة فقال
مقاتل هما السلسبيل والكوثر **فائدة** اخرج ابو نعيم
والضياء عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعلكم تظنون ان انهار الجنة اخدود في الارض

لا والله

كسر

لا والله انها لسائحة على وجه الارض انتهى والاخدود
شق في الارض مستطيل **وقوله** واذا نبقها مثل قلال
هجر فنبقها بفتح النون والموحدة وهذا هو الذي ثبت
في الرواية وان جاز سكون الموحدة والنبق معروف
وهو ثمر السدر والقلال بالكسر جمع قلة بالضم وهي
الجرار الواحدة تسع قربتين او اكثر وهجر بفتح الهاء والجيم
بلدة بقرب المدينة الشريفة يريد ان ثمر السدرة
في الكبر مثل القلال وكانت معروفة عند المخاطبين
وقوله واذا ورقها مثل اذان الفيلة بكسر الفاء وفتح
التحتية بعدها لام جمع فيل ولا منافاة بين ذلك
وبين قوله تكاد الورقة تغطي هذه الامة لان المراد
التشبيه في الشكل خاصة لا في الكبر **وقوله** في
السدرة يغشاها فراش وفي رواية جراد من ذهب
وهو المراد بالفراش قال البيضاوي وذكر الفراش
والجراد وقع على سبيل التمثيل لان من شان الشجر ان
يسقط عليها الجراد وشبهه وجعلها من الذهب
لصفاء لونها واضاءتها في نفسها وقال الحافظ ابن
حجر يجوز ان تكون من الذهب حقيقة ويخلق الله تعالى
فيها الطيران والقدرة صالحة لذلك انتهى **تتمة**
عد بعضهم رفعه صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى
معراجا **ثامنا** بالنسبة الى السموات السبع وساله عن حكمة
هذا المعراج الثامن الى سدرة المنتهى للسنة الثامنة من
الهجرة واجاب بان وجه ذلك والله اعلم ان السنة الثامنة

ثامنا

اشتملت على فتح مكة وهي ام القرى واليها المنتهى ومنها المبتدأ على
ما ورد ان الارض كلها دحيت من مكة فلذلك سميت ام القرى
او هي ام القرى لان اهل القرى يرجعون اليها في الدين والدنيا
حجا واعتمارا وجوارا وكسبا واتجارا فبين سدرة المنتهى
وام القرى من المناسبة ما لا يخفى اذ سدرة المنتهى ينتهي
اليها علم الخلائق ومكة ينتهي اليها امل الآفاق شرقا وغربا
وفيها يكون الاجتماع فكان بلوغه الى سدرة المنتهى
تنبيها على بلوغه الى فتح مكة في العام الثامن وقد
غشيها كالجراد او الفراش الذي هو جند من جند الله
كما غشي مكة في الفتح جند الله وحزبه وغشيها ايضا
اجناس من الخلق والوان من الاسود والاحمر كما
غشي سدرة المنتهى الوان لا يعلمها الا الله تعالى ولما
غشيت الالوان السدرة حسنت الى ان لا يحسن احد
ان ينعتها لفرط الحسن كما ان الوان الخلق لما غشيت
مكة يوم الفتح حسنت حينئذ بالايمان وباهل
القرآن حتى لا يحسن احد ان يصفها لما حينئذ
من عظم الشأن

الوجه السادس والعشرون

في الكلام على رؤيته للجنة والنار وما يتعلق بذلك
قوله في القصة ثم اخذ على الكوثر حتى دخل الجنة قال
الامام العز ابن عبد السلام في تفسيره في هذا الحديث
دليل على ان السدرة ليست في الجنة وجزم به ابن ابي
جمرة كما اشير اليه فيما سبق وقال ابن دحية ثم هنا
ليست للترتيب كما في قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا

واما

واما هي هنا مثل الواو للجمع والاشتراك فهي بذلك خارجة
عن اصلها قاله ابن اقبرس في شرح الشفا وهو خلاف الظاهر
وفي عرض الجنة عليه صلى الله عليه وسلم كما قاله ابن دحية
كرامة عظيمة لانه كان يعرض الجنة على امته ليبشرهم
كما قال عن ربه تبارك وتعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية فاراد الله تعالى ان
يبان النبي صلى الله عليه وسلم ما يعرضه على امته ليكون
وصفه لها على مشاهدة ويحتمل انه انما اراه اياها
ليعلم حقارة الدنيا في جنب ما رآه فيكون في الدنيا
ازهد وعلى الشدائد اصبر حتى يؤديه الى الجنة
ويحتمل ان الله تعالى اراد ان لا يكون لاحد كرامة
الا ان يكون لمحمد مثلها ولما كان لادريس كرامة
دخول الجنة قبل يوم القيامة اراد الله سبحانه وتعالى
ان تكون لصفيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله في القصة فرأى على بابها يعني الجنة مكتوبا
الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر
قال بعض العلماء في توجيه كون درهم القرض بثمانية عشر
ان درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما ورد
ودرهم الصدقة بعشرة ودرهم القرض يرجع للمقرض
بدله فهو بدرهمين من جملة عشرين اصله وهو عشرون
يتأخر للمقرض ثمانية عشر وفي هذا مع قوله صلى الله
عليه وسلم يا جبريل ما بال القرض افضل من الصدقة
قال لان السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض

الا من حاجة دليل على افضلية الفرض على الصدقة لكن
رجح كثيرون الصدقة عليه لما ورد في الصدقة من
الدلائل الكثيرة الشهيرة **وقوله** ثم عرضت عليه
النار انما عرضت عليه كما قاله ابن دحية ليكون في القيمة
اذا قال سائر الانبيا نفسي نفسي ونبينا صلى الله عليه
وسلم يقول امتي امتي وذلك حين تشجرهم جهنم لانهم لم
يروا قبل يوم القيمة شيا منها فاذا راوها جزعوا
وكفت السنتهم عن الخطبة والشفاعة من هولها
وشغلتهم عن امتهم وهو صلى الله عليه وسلم قد راى
جميع ذلك فلا يحصل له مثل ما حصل لهم ليقدر على الخطبة
وهو المقام المحمود ولان الكفار لما كانوا يكذبونه ويؤذونه
اشد الاذى اراه الله تعالى النار التي اعدها لمؤذيه
له المستخفين به وبامره تطييبا لقلبه وتسكينا لفؤاده
والاشارة في ذلك الى تطييب قلبه في شان اعدايه بالاهانة
والانتقام فاولى ان يطيب قلبه في شان اوليايه بالشفاعة
والاكرام وليعلم منة الله عليه حين انقذهم منها ببركته
وشفاعته **وقوله** ورايت مالكا خازن النار فبدا
النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام قال السهيلي لم يره على
الصورة التي يراه المعذبون في الاخرة ولو راه على تلك
الصورة ما استطاع ان ينظر اليه قال الطيبي انما بدا
مالك بالسلام ليزيل ما استشعر من الخوف منه خلاف
سلامه على الانبيا ابتدا كما سبق انتهى وقد وقع في
رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم بدا مالكا بالسلام لكن

الرواية

الرواية الاولى اصح اسنادا من هذه ويحتمل ان يقال لورود هذه
الرواية ان النبي صلى الله عليه وسلم راه اكثر من مرة ففي الاولى
بدا مالك النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام وفي الثانية بدا
النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام

الوجه السابع والعشرون

في الكلام على المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام قوله في القصة
ثم عرج به حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام فالمستوى
بفتح الواو والتنوين موضع مشرف وهو المصعد وقيل
المكان المستوي واللام في قوله لمستوى للتعليل اي لنعت
لاستعلا مستوى او لرويته او لمطالعته ويحتمل ان تكون متعلقة
بالمصدر اي ظهرت ظهور المستوى ويحتمل ان تكون بمعنى
الى وفي رواية بمستوى بالباء وهي ظرفية وصريف
الاقلام بفتح الصاد المهملة وكسر الراء وبالفاء قال
النووي وهي صوت حركتها وجريانها على المكتوب فيه
من اقضية الله ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ
او ما شا الله تعالى من ذلك ان يكتب ويرفع لما اراده من امره
وتدبيره وفي ذلك حجة لاهل السنة في الايمان بصحة كتابة الوحي
والمقادير في كتب الله من اللوح المحفوظ بالاقلام التي هو يعلم
جنسها وكيفيتها على ما جاءت به الايات في كتابه والاحاديث
الصحيحة وما جا من ذلك على ظاهره لكن كيفية ذلك
وصورته وجنسه مما لا يعلمه الا الله تعالى او من اطلعه على
شي من ذلك من ملايكته ورسله وما يتاول هذا ويحيله الا
ضعيف النظر والايمان اذ جاءت به الشريعة ودليل العقول
لا يحيله والله تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد حكمة من الله

والاظهار لما يشاء من غيبه لمن يشاء من ملائكته وسائر خلقه والانهي
غني عن الكتب والاستذكار سبحانه وتعالى قاله القاضي
عياض وقال ابن المنير قد علم ان الاقلام انما تكتب الاقدار
والمقدر المكتوب قديم وانما الكتابة حادثة وجاءت
الاخبار بان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم
بما فيه قبل خلق السموات والارض وانما هذه الكتابة
المجددة في صحف الملائكة كالفروع المنتسخة من الاصل
وفيها المحو والاثبات على ما ورد في الاثر واصل اللوح
المحفوظ الذي انتسخ منه اللوح هو علم الغيب القديم
في ازل القدم وهو الذي لا محو فيه ولا اثبات حيث لا لوح ولا قلم
قال القرطبي في المفهم ولعل الاقلام الموصوفة هنا هي المعبر عنها
بالقلم المقسم به في قوله ن والقلم ويكون القلم هنا للجنس **فان
قلت** ما المناسبة بين هذا المعراج التاسع وبين العام
التاسع من سني الهجرة **قلت** لان في العام التاسع غزوة تبوك
وفيها خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشام في العدد
الذي لم يتم قبل مثله كان العدد فيها ثلاثين الفا وكانت الشقة
بعيدة ولهذا لم يور فيها بل اعلم الناس بوجههم ليكونوا على اهبة
بحسب ذلك ومع هذا الاجتهاد في الاستعداد لم يلق النبي صلى
الله عليه وسلم فيها حربا ولا فتح بلدا وذلك لان اجل فتح
الشام لم يكن حل بعد فانفسخ العزم بالقدر وكشفا في القدر ورجع
النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلى المسلمين الوقار والسكينة من
غير اضطراب عند انصراف العزيمة انتهى **الوجه الثامن
والعشرون** في الكلام على الرفرف والحاجة وما يتعلق

بذلك

بذلك اعلم ان الامام ابن المنير قال في كتابه المنتقى في شرف المصطفى
ان سني الهجرة العشر يجعلها مطابقة للمعاريج التي كانت ليلة الاسرا
ومقابلة لها بالمناسبة وقد كانت المعاريج ليلة اذ عشرا على
عدد سني الهجرة منها سبعة معاريج الى السموات السبع الثامن
الى سدرة المنتهى التاسع الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام
في تصاريف الاقدار العاشر الى العرش والرفرف والرؤية
وسماع الخطاب وهو حقيقة اللقا ولهذا ختمت سني الهجرة
العشر بالوفاة وهي لقا للحق جل جلاله كما ختمت معاريج
الاسرا باللقا والحضور بحضرة القدس على ما تقدم الكلام عليه
في الحديث التام ثم اخذ في ذكر مناسبة لقيه لكل نبي في السما
الذي هو فيه الى انتهاء السموات ثم ذكر مناسبة المعراج الثامن
وهو سدرة المنتهى للسنة الثامنة ثم مناسبة المعراج
التاسع وهو المستوى للسنة التاسعة وقد اشرنا الى شي
من ذلك من كلامه وكلام غيره ثم قال المعراج العاشر الى
الرفرف وحينئذ لقي الله عز وجل بحضرة القدس وقام بمقام
الانس ورفع الحجاب وسمع الخطاب وكان قاب قوسين او ادنى
لا بالصورة ولكن بالمعنى والمناسبة بين هذا المعراج العاشر
وبين العام العاشر من سني الهجرة امر بين واضح اذ
اجتمع في هذا العام اللقاءان اللذان احدهما لقا البيت
وحج الكعبة ووقوف عرفة واكمال الدين واتمام النعمة
على المسلمين واللقا الثاني لقا رب البيت وكانت فيه
الوفاة واللقا والانتقال من دار الفنا الى دار البقاء
والعروج بالروح الكريمة الى المقعد الصدق والى الملا

الحق والى الوسيلة وهي المنزلة الرفيعة التي لا تنبغي الا لعبد واحد اختاره الله على خلقه وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في صحيح الخبر انه سئل عن الوسيلة وهي المنزلة الرفيعة التي لا تنبغي الا لعبد واحد من عباد الله وارجو ان اكون انا ورجاؤه عليه الصلاة والسلام محقق وامله مصدق وخاطره موفق انتهى **قوله** ان المعراج العاشر الى العرش والرفرف الى اخره في ذكر عروجه الى العرش نظر لانه لم يرد في احاديث المعراج الثابتة انه صلى الله عليه وسلم عُرج به الى العرش تلك الليلة بل لم يرد في حديث انه صلى الله عليه وسلم جاوز سدرة المنتهى بل انتهى اليها وفي بعض الاحاديث لم يذكر السدرة بل ذكر فيها انه انتهى الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام فقط واما الرفرف فيحتمل ان المراد به السحابة التي غشيته وفيها من كل لون التي رواها ابن ابي حاتم عن انس وعندما غشيته تأخر عنه جبريل صلى الله عليهما وسلم لكن ظاهر السياق للقصة يقتضي انها قبل عروجه الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام ومستبع لتعداد ابن المنير للمعاريج فلما لعد ذلك فلو جعل المعراج العاشر هو حضرة القدس التي حصل فيها اللقا والمناجاة والرؤية وحذف العرش والرفرف لكان اولى لما ذكرنا **تتمة** لهذا الوجه وهو انه سئل الشيخ الامام رضي الدين القزويني رحمه الله عن وطئ النبي صلى الله عليه وسلم العرش بنعله وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك ام لا فاجاب بان نصه اما

حديث

حديث وطئ النبي صلى الله عليه وسلم العرش بنعله فليس بصحيح وليس بثابت بل ومول النبي صلى الله عليه وسلم الى ذروة العرش لم يثبت في خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت اصلا وانما صح في الاخبار انتهاؤه الى سدرة المنتهى فحسب واما الى ما وراءها لم يصح وانما ورد ذلك في اخبار ضعيفة او منكرة لا يعرج عليها والله تعالى اعلم بالصواب **وقد رايت** بخط بعض المحدثين بعد نقله كلام الشيخ رضي الدين المذكور ما نصه ملخصا اقول ما ذكره الشيخ رضي الدين رحمه الله هو الصواب وقد وردت قصة الاسرا والمعراج مطولة ومختصرة عن نحو اربعين صحابيا وليس في حديث احد منهم انه صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة في رجله نعل وانما ذلك شيء وقع في نظم لبعض القصاص الجهلة ولم يذكر العرش بل قال وانى البساط فهم بخلع نعله فنودي لا تخلع لي وهذا باطل لم يذكر في شيء من الاحاديث بعد الاستقرا التام ولم يرد في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف انه صلى الله عليه وسلم جاوز سدرة المنتهى بل انتهى اليها كما في اكثر احاديث المعراج وفي بعضها لم يذكر السدرة بل ذكر فيها انه انتهى الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام فقط ومن ذكر انه جاوز ذلك فعليه البيان وانى له بذلك ولم يرد في خبر ثابت ولا ضعيف انه صلى الله عليه وسلم رقى العرش وما وقع في بعض الاحاديث المختلقة التي افتراها بعضهم لا يلتفت اليه ولا اعلم خبرا ورد فيه انه صلى الله عليه وسلم راى العرش الا ما رواه ابن ابي الدنيا عن ابي الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه

وطئ النبي العرش بنعله

وسلم قال مررت ليلة اسري بي برجل مغيب في نور العرش قلت
من هذا ملك قيل لا قلت نبي قيل لا قلت من هو قيل هذا رجل
كان في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله تعالى وقلبه معلق
بالمساجد ولم يستسب لوالديه قط وهو خبر مرسل لا تقوم
به الحجة في هذا الباب وما ذكر في السؤال يعني المتقدم
من انه صلى الله عليه وسلم رقي العرش بنعله فقاتل الله من
وضعه ما اعدم حياءه وادبه وما اجراه على اختلاق الكذب
على سيد المناديين ورأس العارفين صلى الله عليه وسلم
والله تعالى اعلم بالصواب انتهى ملخصا **الوجه التاسع**
والعشرون في الكلام على ما وقع من الرؤية والمناجاة
والكلام وفرض الصلاة وما وقع من المراجعة فيها **قوله**
في القصة فرأى ربه فيه دليل على وقوع الرؤية له صلى الله عليه
وسلم تلك الليلة وقد روى الامام احمد بسند صحيح عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ربي
عز وجل وقد اختلف السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم
في رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج ببصره فنفت
ذلك عائشة وذهب الى انه انما رآه بقلبه وهو المشهور
عن ابن مسعود وجاء مثله عن ابي هريرة واليه ذهب كثير
من المحدثين والمتكلمين وذهب ابن عباس الى انه رآه ببصره
وبه قال سائر اصحاب ابن عباس وبه جزم كعب الاحبار
والزهري وصاحبه معمر واخرون وحكي عن الحسن انه
كان يحلف ان محمدا رأى ربه وبه قال الشيخ ابو الحسن الاشعري
وسائر اتباعه وقال الامام النووي الراجح عند اكثر

العلما

العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه
ليلة المعراج وبسط الكلام على ذلك وقال هو وغيره لم
تنف عائشة الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها
لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرت من ظاهر
الاية وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابي اذا قال قولا وخالفه
غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا وقد خالف عائشة
ابن عباس وغيره كما تقدم بل اخرج الطبراني بسند صحيح عن
ابن عباس انه كان يقول نظر محمد الى ربه مرتين مرة
ببصره ومرة بفؤاده وقد تعقب قولهم انها لم تنف ذلك
بحديث مرفوع الى اخره بان ذلك عجيب فقد اخرج مسلم
في صحيحه عن مسروق انه لما قال لعائشة الم يقل الله ولقد
رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة اخرى فقالت انا اول
الامة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال
انما هو جبريل واخرجه ابن مردويه ايضا عن مسروق
انها قالت انا اول من سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن هذا فقلت يا رسول الله هل رأيت ربك فقال لا انما رأيت
جبريل منهبطا لكن التقي السبكي لما نقل في تفسيره عند قوله
تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى قول ابن دحية ان حديث عائشة
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما علم لكلما وفي اللفظ ان قول
غيرها انما هو منتزع من الفاظ القرآن نظر السبكي في حله
المخرج في مسلم المذكور اتفاقا بانه ان كان سؤالها يعني
عائشة عن ولقد رآه بالافق المبين فليس انا عن فيه
وجاز ان يكون ذاك جبريل وهذا وان كان عن الاثنين

فيترجح ما قاله ابن عطية والاحتمال حاصل فيما سالت عنه لتيسر
في لفظها صراحة بذكره ثم قال السبكي في اخر كلامه بعد ان
نقل كلام النووي السابق وقد قلدنا عن عايشة حديثا في
مسلم وتمسك به ابن عطية وابديناه فيه احتمالا فلذلك يستمر
ما ادعاه من الايمة من ان عايشة لم تذكر فيه نصا وتبان بهذا
ان الراجح في تفسير الاية ان الروية بالبصر وانها لله تعالى
انتهى وذهب جماعة الى الوقف في هذه المسلة ولم يجزموا
بنفي ولا اثبات لتعارض الادلة ورجح ذلك الامام ابو
العباس القرطبي في المفهم وعزاه لجماعة من المحققين وقواه
بانه ليس في الباب دليل قاطع وغالب ما استدل به الطايفتان
ظواهر متعارضة قابلة للتاويل قال وليست المسلة من
العمليات فيكتفى فيها بالادلة الظنية وانما هي من المعتقدات
فلا يكتفى فيها الا بالدليل القطعي وقال التقي السبكي رحمه الله
في السيف المسلول ليس من شرطه ان يكون قاطعا متواترا
بل متى كان حديثا صحيحا ولو ظاهرا وهو من رواية الاحاد
جاز ان يعتمد عليه في ذلك لان ذلك ليس من مسايل الاعتقاد
التي يشترط فيها القطع على انا لسنا مكلفين بذلك انتهى
تنبيهان الاول منهما قال الحافظ ابن حجر المراد
برؤية الفؤاد روية القلب لا مجرد حصول العلم لانه
صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله تعالى على الدوام بل مراد
من اثبت انه راه بقلبه ان الروية التي حصلت له خلقت
في قلبه كما تخلق الروية بالعين لغيره زاد بعضهم بخلاف
غيره من الاوليا فانهم اذا اطلقوا الروية والمشاهدة

لانفسهم

لانفسهم فانهم انما يريدون المعرفة فاعلم فانه من الامور
المهمة التي يغلط فيها كثير من الناس انتهى والروية
لا يشترط لها شي مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها
في العين قال الواحدي وعلى القول بانه راه بقلبه
جعل الله تعالى بصره في فؤاده او خلق لفؤاده بصرا
حتى راى ربه روية صحيحة كما يرى بالعين انتهى **وقوله**
في القصة وكلمه ربه الى ان قال وجعلتك اول النبيين
خلقا واخرهم بعثا ووقع في بعض الروايات وجعلتك
فاتحا وخاتما قال بعضهم **فان قلت** ما الفرق
بين هذا وبين قوله وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم
بعثا **قلت** الفاتح والخاتم اعم من هذا اذ يصدق
بانه فاتح كل خير وخاتمه فيندرج فيه هذا بهذا المعنى
واول من جهة الخلق خاص وكذلك كونه اخرهم من
جهة البعث فتامل انتهى وقوله واعطيتك خواتيم
سورة البقرة من كنز تحت العرش لم اعطه نبيا قبلك **فان قيل**
المعراج كان بمكة ونزول الاية بالمدينة **فالجواب**
ما قاله بعضهم ليس المراد بقوله اعطيتها انزلت عليه
بل المعنى انه استجيب له فيما لقن من الايتين من قوله تعالى
غفرانك ربنا الى فانصرنا على القوم الكافرين ولمن يقوم
بعدها من السايلين انتهى والمراد انه اعطاه ما سينزله
عليه بعد ذلك وقوله فرضت عليك وعلى امتك خمسين
صلاة فقم بها انت وامتك وفي رواية واعطي رسول
الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس وخواتيم سورة

الثقة وغفر لمن لم يشرك بالله من امته شيئا المقحمات وفي
رواية انس عن ابي ذر فرض الله على امتي خمسين صلاة وفي
رواية ثابت عن انس فرض الله علي خمسين صلاة كل يوم وليلة
فيحتمل ان يقال في كل من هاتين الروايتين اختصار ويؤيده
قوله في الرواية المتقدمة اني فرضت عليك وعلى امتك
الخ او يقال ذكر الفرض عليه يستلزم ذكر الفرض على الامة
وبالعكس الا ما يستثنى من خصائصه وفي ذلك اشارة الى
عظم شان الصلوات لكون فرضها كان مختصا بليلة
الاسرا والاختصاص من فرضها بكونه بغير واسطة
بل بمراجعات تعددت والحكمة في تخصيص فرض
الصلاة بليلة الاسرا انه صلى الله عليه وسلم لما عرج
به راى تلك الليلة تعبد الملائكة منهم القائم فلا يقعد
والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد فجمع الله تعالى
له ولامته تلك العبادات في ركعة واحدة يصليها
العبد بشرائطها من الطمانينة والاخلاص وفي فرضها
في تلك الليلة كما قاله السهيلي التنبيه على فضلها حيث
لم تفرض الا في الحضرة المقدسة المطهرة ولذلك
كانت الطهارة من شانها ومن شرائطها والتنبيه
على انها مناجاة الرب وان الرب تبارك وتعالى يقبل بوجهه
على المصلي يناجيه ويقول حمدني عبدي اثنى علي عبدي الى اخر
السورة وهو المناسب لفرضها عليه فوق السما السابعة
حين سمع كلام الرب وناجاه ولم يعرج به حتى طهر ظاهره
وباطنه بماء زمزم كما يتطهر المصلي للصلاة واخرج عن الدنيا

بجسده

بلغ مقابلة [illegible]

بجسده كما يخرج المصلي عن الدنيا بقلبه ويحرم عليه كل
شي الا مناجاة ربه وتوجهه الى قبلته في ذلك الحين
وهو بيت المقدس ورفع الى السما كما يرفع المصلي يديه
اشارة الى القبلة العليا وهو البيت المعمور والى جهة
عرش من يناجيه ويصلي له سبحانه وتعالى **قوله**
في القصة فاتى على ابرهيم فلم يقل شيئا ثم اتى على موسى قال
ونعم الصاحب كان لكم قال ما صنعت الى اخره قال
ابن ابي جمرة الحكمة في كون ابرهيم صلى الله عليه وسلم
لم يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب التخفيف
ان مقام الخلة انما هو الرضى والتسليم والكلام في
هذا المقام ينافي ذلك المقام وموسى هو الكليم ومقام الكليم
مقام الادلال والانبساط ومن ثم استبد بامر
النبي صلى الله عليه وسلم بطلب التخفيف دون ابرهيم
صلى الله عليه وسلم مع ان للنبي صلى الله عليه وسلم من
الاختصاص بابرهيم ازيد مما له من موسى لمقام الابوة
ورفعة المنزلة والاتباع في الملة وقال القرطبي
واما قول من قال انه اول من لاقاه بعد الهبوط فليس
بصحيح لان حديث مالك بن صعصعة انه راه في السادسة
وابرهيم في السابعة وهو اقوى اسنادا من حديث
شريك الذي فيه انه راى موسى في السابعة قال
الحافظ ابن حجر واذا جمعنا بينهما بانه لقيه في الصعود
في السادسة وصعد موسى الى السابعة فلقيه فيها بعد
الهبوط ارتفع الاشكال وبطل الرد وقال القرطبي

الحكمة في تخصيص موسى عليه الصلاة والسلام بمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم في امر الصلاة لعلها لكون امة
موسى كلفت بالصلاة ما لم يكلف بها غيرها من الامم
فثقلت عليهم فاشفق موسى عليه الصلاة والسلام على
امة محمد مثل ذلك ويشير اليه الى قد جربت الناس
قبلك انتهى قال السهيلي اعتنا موسى صلى الله عليه
وسلم بهذه الامة والحاحه على نبيها ان يشفع لها
ويسال التخفيف عنها لان الله تعالى لما قضى اليه في الجانب
الغربي ورأى صفات امة محمد في الالواح وجعل يقول
اني اجد في الالواح امة صفتهم كذا وكذا اللهم اجعلهم
امتي فيقول تلك امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال اللهم
اجعلني من امة محمد وهو حديث مشهور في التفاسير
فكان اشفاقه عليهم واعتناؤه بامرهم كما يعتني
بالقوم من هو منهم لقوله اللهم اجعلني منهم انتهى وفي قول
موسى صلى الله عليه وسلم فان امتك لا تطيق ذلك اشارة الى دليل
على جواز الحكم بما اجرى الله تعالى بحكمته من ارتباط العوائد لان
موسى عليه الصلاة والسلام حكم على هذه الامة بانها لا تطيق
بسبب ما اخبره وعوانه على بني اسرائيل ومن تقدم اقوى جلدا
ممن ياتي بعد فراى موسى ان ما لم يحمله القوي فمن باب
اولى ان لا يحمله الضعيف بعد تحكم بامر الحكمة في ارتباط
العادة مع ان القدرة صالحة لان يحمل الضعيف ما لا يحمل
القوي وقد ورد ان الصلاة التي كلف بها بنو اسرائيل
ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي وقيل وركعتان

عند

عند الزوال ومع هذا لم يقوموا بذلك فمن ثم استكثر
الخمس لامة محمد صلى الله عليه وسلم واشفق عليهم من
التخلف عن القيام بواجبها فطلب السوال في تقليلها
وقد وقع في هذه الامة ان كثيرا منهم يغلب عليه التفريط
في الصلاة الخمس وان كثيرا من المصلين مفرط في
الشروط غير موفق بالحقوق وكان ذلك من اثار
فراسة موسى عليه السلام فيهم لانه قال للنبي صلى الله عليه
وسلم وقد رجع العزم على الخمس ارجع الى ربك فاساله
التخفيف ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم فراسة موسى
ولكن قال قد استحييت وفي بعض الطرق انه قال
ارضى واسلم وقوله عند سوال التخفيف قد وضعت
عنك خمسا كذا في رواية ثابت عن انس وفي رواية مالك
ابن صعصعة عشرا وفي رواية شريك وضع شطرها
قال النووي المراد بحط الشطر انه حط في مرات
بمراجعات فلا يخالف رواية ثابت قال الحافظ ابن
حجر وكذا العشر فكانه وضع العشر في دفعتين
والشطر في خمس دفعات والمراد بالشطر هنا البعض
قال وقد حققت رواية ثابت ان التخفيف كان خمسا
خمسا وهي رواية مبينة يتعين حمل باقي الروايات
عليها حصرا وقد ايدها روايات اخر قال
بعضهم دلت مراجعته صلى الله عليه وسلم في طلب التخفيف
تلك المرات كلها انه علم ان الامر في كل مرة لم يكن على سبيل الالزام
بخلاف المرة الاخيرة ففيها ما يشعر بذلك كقوله لا يبدل القول

كما عند الطاوس
في بدو الخلق

لدي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال فعرفت انها عزمة من الله فرجعت الى موسى فقال لي ارجع فلم ارجع و قوله انما امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من طلب التخفيف في المرة العاشرة انه صلى الله عليه وسلم تفرس ان هذا العدد لا يحط عنه فاستحيى ان يسال في مظنة الرد ووجه التفرس ان هذا العدد الله تعالى ادرج التخفيف خمسا خمسا فلو سال التخفيف بعد ان صارت خمسا لكان سؤالا في رفعها وفي رفعها ارتفاع الصلاة بجملتها وقد علم انه لا بد منها وظيفة فلهذا ترك السؤال وكشف الغيب ان العلم المتقدم قد تعلق ببقاء هذه الخمس ولهذا ثبتت فصدقت الفراسة واصابت الفكرة وفي ذلك دليل على ان الله تعالى اذا اراد اسعاد عبد جعل اختياره في مرضات ربه لان النبي صلى الله عليه وسلم جعل الله تعالى اختياره وايثاره فيما اراد الحق تبارك وتعالى انفاذه وامضاءه وهو فرض الصلوات الخمس وذلك تكريم له صلى الله عليه وسلم وتشريف لانه لو رجع وطلب التخفيف فلم يخفف كما خفف اولا لكان اختياره مخالفا للمقدور فلما ان اختار ما سبق في اختياره كان دليلا على ما استدللنا عليه وعلى علو منزلته صلى الله عليه وسلم وفيه دليل للصوفية حيث يقولون ان الحال حامل لا محمول لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ان ورد عليه حال الاستحياء وعلى انه بادر الى طلب التخفيف عنهم ولم ينظر لغير ذلك ثم لما ورد عليه

الحيا من الله تعالى لم يلتفت لامته اذ ذاك ولا طلب شيا و قوله لا يبدل القول لدي ان قيل لم يبدل القول حيث جعل الخمسين خمسا اجيب بان معناه لا يبدل الاخبارات لانه تعالى اذا اخبر عن حكم انه مؤبد استحال التبديل والنسخ حينئذ لاجل الخلف وقد اخبر تعالى انها مضت الفريضة اي ابدا وجعل ثواب الخمس خمسين فلا يبدل هذا الخبر ولا يتوقع النسخ بعد ذلك اما التكليفات فانها تبدل وتنسخ كالنسخ الخمسين الى الخمس او لا يبدل القضا المبرم لا القضا المعلق الذي يمحو الله ما يشا منه ويثبت او معناه لا يبدل القول بعد ذلك وقد استدل بتخفيف الخمسين الى خمس على جواز النسخ قبل التمكن من الفعل وقبل دخول الوقت كما هو مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة او قوله في القصة فلما جاوزت نادى مناد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي من اقوى ما استدل به على ان الله تبارك وتعالى كلم نبيه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا بغير واسطة قال ابن دحية حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤية والمكالمة لانه صاحب الشفاعة في القيامة فتوسط قبلها لئلا تقع له دهشة البديهة كما يقع لغيره من الانبيا فاراد سبحانه وتعالى ان ينزل عنه قبل ذلك المقام الانقباض ليتمكن في المقام المحمود واعلمه سبحانه قبل المشهد الاعلا للمشاهدة والكلام ثم رفعه الى مكان لا مكان بعد مكانه ولا مقام ورا مقامه ليكون منا هذا الكلام فيتفرغ في المشهد الاعلا ويتمكن في المقام المحمود قال

وقد بسط الكلام في هذا الموضع بما سمعت ... التعليق ... على الاشياء ...
وقوله وغفر لمن لم يشرك بالله من امته شيا المقحمات يعني غفر الهم وسكوت القاف وكسر الحا الذنوب العظام الكبائر التي تقحم اصحابها وتوردهم الى النار والتقحم الوقوع في المهالك قال النووي والمراد بغفرانها انه لا يخلد في النار بخلاف المشركين وليس المراد بغفرانها انه لا يعذب اصلا وقد علم من نصوص الشرع واجماع اهل السنة اثبات عذاب العصاة من الموحدين

بعضهم في هذه المراجعة التي وقعت بين موسى وبين النبي صلى الله
عليهما وسلم فوايد منها تكرار الشفاعة في القضية الواحدة الى
ان يتم مقصود الشافع ومنها الرجوع الى المشير الناصح ومنها انه
لا يمتنع من الشفاعة وان كان داخلا فيها الى غير ذلك من
الفوايد ولبعض الفضلا بعين كلام في هذا المقام بديع النظام
سلك فيه مسلك اهل المحبة ولحظ مذهبهم وقد علم كل اناس
مشربهم فقال لما سال موسى عليه السلام الروية فلم تحصل
البغيه لقي الشوق تغلبه والامل بعلته فلما تحقق ان
الحبيب منح الروية وفتح له باب المنيه كثر السوال عما جرى
ليسعد برويه من قد راى وردد في امر الصلاة الحبيب ليستفيد
رويه حبيب الحبيب ولله در القايل

واستنشق الارواح من نحو ارضكم ∗ لعلي اراكم او ارى من يراكم

والقايل الاخر

واني لي موسى يردده ∗ لعله يحلى حسن الحبيب يشهده

يبدو سناها على وجه الرسول فيا ∗ لله در رسول حين اشهده

قوله في القصة فلم يزل يرجع بين موسى وبين ربه معناه
بين موضع مناجاة ربه وكذلك قول موسى له ارجع الى
ربك اي الى موضع مناجاة ربك فكان رجوعه من المكان
الذي لقي فيه موسى الى الموضع الذي وقعت فيه المناجاة
والسوال لربه ولا يلزم من موضع السوال ان يكون المسوول
فيه او يكون حايزا له تعالى الله جل وعلا وتنزيهه عن
الجهة والمكان فرجوع النبي صلى الله عليه وسلم اليه رجوع
الى السوال فيه لشرف ذلك الموضع على غيره كما كان الطور

موضع

موضع سوال موسى في الارض ومع انتهائه صلى الله عليه وسلم تلك
الليلة التي عرج به فيها الى ان ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الاقلام
كان هو ونبي الله يونس اذ التقمه الحوت وذهب به في البحار يشقها
حتى انتهى به الى قرار البحر سوا في القرب من الله تعالى لتعاليه تعالى
وتنزيهه عن الجهة والمكان والتحيز والحد والاحاطة وقد
نقل القرطبي في التذكرة ان القاضي ابا بكر بن العربي المالكي ذكر
قال اخبرني غير واحد من اصحابنا عن امام الحرمين ابي المعالي
عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني انه سيل هل البارى
في جهة فقال لا هو متعال عن ذلك قيل له ما الدليل عليه قال
الدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس
ابن متى فقيل له ما وجه الدليل من هذا الخبر فقال لا اقوله حتى ياخذ
ضيفي هذا الف دينار يقضي بها دينا فقام رجلان فقالا هي
علينا فقال لا يتبع بها اثنين لانه يشق عليه فقال واحد هي علي
فقال ان يونس بن متى رمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت وصار
في قعر البحر في ظلمات ثلاث ونادى لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين كما اخبر الله ولم يكن محمد حين جلس على الرفرف الاخضر
وارتقى به صعدا حتى انتهى به الى موضع يسمع فيه صريف
الاقلام وناجاه ربه بما ناجاه فاوحى اليه ما اوحى باقرب
الى الله من يونس في ظلمة البحر فالله سبحانه قريب من عباده
يسمع دعاهم ولا يخفى عليه حالهم كيف ما تصرفت من غير مسافة
بينه وبينهم فيسمع ويرى دبيب النملة السودا على الصخرة
الصما في الليلة الظلما تحت الارض السفلى كما يسمع ويرى تسبيح
حملة العرش من فوق السموات السبع العلى لا اله الا هو عالم الغيب

والشهادة احاط بكل شي علما واحصى كل شي عددا **الوجه الثلاثون** في الكلام على ما وقع له في رجوعه من الاسرا من شرب الما وحبس الشمس له وغير ذلك قال السهيلي **فان قيل** كيف استباح النبي صلى الله عليه وسلم شرب الما الذي في القدح وهو ملك لغيره واملاك الكفار لم تكن ابيحت له يوميذ ولا دماؤهم **والجواب** ان العرب في الجاهلية كان في عرف العادة عندهم اباحة اللبن لابن السبيل فضلا عن الما وكانوا يعهدون بذلك الى رعاتهم ويشترطونه عليهم عند عقد اجارتهم ان لا يمنعوا اللبن من احد مر بهم فكيف الما وللحكم بالعرف في الشريعة اصول تشهد له انتهى وذكر ايمتنا رحمهم الله في الخصايص انه صلى الله عليه وسلم ابيح له اخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج النبي صلى الله عليه وسلم اليهما وانه يجب على صاحبهما البذل له صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم **وقوله** في القصة فحبس عليه الشمس لما سالوه عن العير متى تجي قال يوم الاربعا فحبسوا ينتظرون وقد ولي النهار ولم تجي فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة فقد رواه البيهقي وغيره واخرج الطبراني في الاوسط عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم امر الشمس ان تتاخر ساعة من النهار فتاخرت ساعة من النهار وسنده حسن كما قال الحافظ ابو الحسن الهيثمي في مجمع الزوايد والحافظ ابن حجر في فتح الباري في باب قوله صلى الله عليه وسلم احلت لكم الغنايم والحافظ ابو زرعة الولي العراقي في شرح التقريب قال الحافظ ابن حجر ولا يعارضه ما رواه احمد بسند صحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس لم تحبس الا ليوشع بن نون ليالي سار الى بيت المقدس

ووجه

ووجه الجمع ان الحصر محمول على ما مضى للانبيا قبل نبينا صلى الله عليه وسلم فلم تحبس الشمس الا ليوشع وليس فيه نفي انها قد تحبس بعد ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى وقد ورد ان الشمس ردت عليه صلى الله عليه وسلم بعد ما غربت فروى الطبراني باسانيد رجال بعضها ثقات عن اسما بنت عميس قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهبا ثم ارسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه في حجر علي فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس فقال عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس قالت اسما فطلعت الشمس حتى وقفت على الجبال وعلى الارض وقام علي فتوضا وصلى العصر ثم غابت وذلك بالصهبا بخيبر وفي لفظ اخر كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه الوحي يغشى عليه فانزل عليه الوحي يوما وهو في حجر علي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صليت العصر فقال لا يا رسول الله فدعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت فرايت الشمس طلعت بعد ما غربت والحديث رجاله موثقون وغالبهم من رجال الصحيح وقد حسنه الحفاظ الولي العراقي والجلال السيوطي ولا يلتفت لايراد ابن الجوزي له في الموضوعات فقد خطاه الحفاظ في ذلك **ومن فوايد طلوع الشمس** بعد غروبها ان الوقت يعود ومن ثم لما عادت صلى علي العصر ادا بل عودها لم يكن الا لذلك ومثل ذلك ما لو تاخر غروبها عن وقته المعتاد فان الوقت باق كما في حبسها في قصة الاسرا لوصول العير كما تقدم بل انها حبست او لم يبق الوقت قال ذلك ابن

العاد في التعقبات وقد صرح القرطبي بذلك في التذكرة في باب ما يذكر الموت والآخرة تعالى فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه انتهى ووجهه بعضهم بان الشمس لما عادت كانها لم تغب وقد وقع حبس الشمس كرامة لبعض اولياء هذه الامة فذكر ابن السبكي في طبقاته واليافعي في كفاية المعتقد وغيرهما ان مما استفاض قال اليافعي وربما تواتر من كرامات الشيخ الكبير سيدي اسمعيل بن محمد الحضرمي شارح المهذب رحمه الله ونفعنا ببركته انه قال يوما لخادمه وهو في سفر قل للشمس تقف حتى نصل الى المنزل وكان في مكان بعيد وكان عادة اهل المدينة انهم لا يفتحون بابها بعد الغروب لاحد ابدا فقال لها الخادم قال لك الفقيه اسمعيل قفي فوقفت حتى بلغ مكانه ثم قال للخادم ما تطلق ذلك المحبوس فامرها الخادم بالغروب فغربت واظلم الليل في الحال وهذا من باب ما كان معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي **خاتمة** **اخرج** ابن مردويه عن انس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه منذ اسري به ريحه ريح عروس واطيب من ريح عروس قال بعضهم فقد كانت الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم يمس طيبا **وروينا** عن انس قال ما شممت ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية البخاري ولا شممت مسكة ولا عنبرة اطيب من رائحة النبي صلى الله عليه وسلم **وفي** رواية الترمذي ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعن

وعن انس قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق وجاءت امي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال يا ام سليم ما هذا قالت هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو اطيب الطيب رواه مسلم **وروى** ابو يعلى والطبراني قصة الذي استعان به صلى الله عليه وسلم على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شيء فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه وقال مرها فلتطيب به وكانت اذا تطيبت به شم اهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين **وقال** جابر بن عبد الله كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال لم يكن في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيب عرقه وعرفه ولم يكن يمر بحجر الا سجد له رواه الدارمي والبيهقي وابو نعيم ولله در القائل

ولو ان ركبا يمموك لقادهم ۞ نسيمك حتى يستدل به الركب

وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق رواه ابو يعلى والبزار باسناد صحيح فنسال الله تعالى ان يهدينا بهدي سيد المرسلين وان يجعلنا لاقواله وافعاله من المتبعين ولسنته من المتمسكين وان يدخلنا في شفاعته ويجعلنا تحت لوائه يوم الدين صلى الله وسلم عليه وجزاه عنا افضل ما جزى نبيا عن امته ورضي الله عن آله وصحابته والتابعين وتابعيهم والائمة المجتهدين وسائر علما

لعله بر
[illegible]

المسلمين امين قال مولفه وكان الفراغ من تكملته عشية نهار الاربعا
سابع عشر شهر رجب الفرد سنة تسع وسبعين وثمانمائة
• ووافق الفراغ من تعليق هذه النسخة من خط المولف •
• في تاسع شهر ذي الحجة الحرام ختام سنة •
• سبع وثمانين وثمانمائة •
• على يد العبد الفقير محمد الحوطي •
• العفو الكريم •
• عنه •
• امين •



للحافظ ابي الفضل بن حجر العسقلاني رحمه الله

• سبقنا الاصحاب خير الورى • ولا نحن اصحاب اخبارهم •
• اولئك فازوا بتذكيرهم • ونحن سعدنا بتذكارهم •
• هم سبقونا الى نصرهم • وها نحن اتباع انصارهم •
• ولما حرمنا لقا عينهم • عكفنا على حفظ آثارهم •
• عسى الله يجمعنا كلنا • برحمته منه في دارهم •

بلغ مقابلة على حسب مولفه ... الافادة وسعدنا...